Tel : :91-522-2741235, 2741272
Fax :91-522-2741221, 2741231
(Vol. 52, Issue. 07)

Monthly
AL-BAAS-EL-ISLAMI

R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2341)
Regd. No. LW-NP/642006 To 200
(May. 2007

إصدارات جديدة:

بذل المجهود
في حل
سنن أبي داود

تأليف

الإمام المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري

(ولد سنة ١٢٦٩هـ وتوفي سنة ١٣٤٦هـ)

مع تعليقات

الإمام المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي المدني

(ت ١٤٠٢هـ)

اعتنى به وعلق عليه

الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

في ١٤ مجلداً

طبع هذا الكتاب على نفقة سمو الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان

نائب رئيس مجلس الوزراء ولي عهد دولة الإمارات العربية المتحدة

الناشر:

SHEIKH ABUL HASAN NADWI CENTER®
For Research & Islamic Studies
MOZAFFAR PUR, AZAMGARH, U.P.(INDIA).

مركز الشيخ أبي الحسن الندوي
للبحوث والدراسات الإسلامية

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Kakori Offset Press, Lucknow. U.P.
Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

مؤسسة الصحافة والنشر

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٥٢

البعث الإسلامي

العدد الثامن – المجلد الثاني والخمسون – جمادى الأولى ١٤٢٨هـ – يونيو ٢٠٠٧م

- منة الإسلام الدائمة على العالم البشري أجمع!
- جمهوريات ولكن بدون الحقوق الديمقراطية
- ضرورة توحيد التصور الإيماني لقضايا المسلمين اليوم ...
- آية من القرآن: تفتح قلب يهودي
- زحمة يا دنيا زحمة
- البيروني ومنهجه في البحث التاريخي
- الحور العين

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ، الهند الهاتف: ٢٧٤١٢٣٥–٥٢٢–٩١+

Albaas-el Islami,Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Tel : 0091-522-2741235, 2741272 Fax : 0091-522-2741221, 2741231 e- mail : theal-baas@nadwatululama.org

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية
الأستاذ محمد الحسني
-رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد الثاني والخمسون

رئاسة التحرير ○
○ سعيد الأعظمي ○
○ واضح رشيد الندوي ○

العدد الثامن
جمادى الأولى ١٤٢٨هـ
يونيو ٢٠٠٧م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء و دار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي رح)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة و النشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
الهاتف : ٢٧٤١٢٣٥-٠٥٢٢
الفاكس : ٢٧٤١٢٢١-٠٥٢٢

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS-E-SAHAFAT-WA-NASHRIYAT
P.O. Box : 93, Taigor Marg, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)
Ph.: 0522-2741235
Fax: 0522-2741221/2741231

الاشتراكات السنوية

◆ في الهند

مأتان وخمسون روبية ٢٥٠/٠٠

ثمن النسخة : ٢٥/روبية

◆ في العالم العربي

وفي جميع دول العالم :

٢٥/دولاراً بالبريد العادي

و ٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

***

المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عملياً ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غباراً لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعّمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - منهجاً جديداً يجدر بالغرب تقليده وتقديره ، ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع .

هذا هو العبْقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة و الزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك :
باسم : "البعث الإسلامي"
(ALBAAS-EL-ISLAMI)

و ذلك بالعنوان التالي

مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT
WA NASHRIYAT
P.O.Box : 93, LUCKNOW (U.P.)
Pin.: 226 007 (INDIA)

***

محتويات العدد

ع٨/ج٥٢/ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ

الافتتاحية

منة الإسلام الدائمة على العالم البشري أجمع ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

التوجيه الإسلامي :

آية من القرآن : تفتح قلب يهودي — د/محمد بن سعد الشويعر — ٩

ضرورة توحيد التصور الإيماني لقضايا المسلمين اليوم ... — د/عدنان علي رضا النحوي — ١٥

الدعـوة الإسلامية :

الحور العين — سعادة الشيخ إبراهيم بن عبد الله المزروعي — ٢٢

أهمية التوحيد في ربوبية الله تعالى — د/حافظ أبو نعمان محمد إرشاد الله — ٣٢

القرآن الكريم والعلوم : مقارنة من منظور علم المعرفة — د/عبد الرزاق — ٤١

الفقه الإسلامي :

زحمة يا دنيا زحمـــة — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ٥٠

أعلام التاريخ الإسلامي :

البيروني ومنهجه في البحث التاريخي — د/السيد رضوان علي الندوي — ٥٤

الصحافة العربية الحديثة في الدول الإسلامية :

الصحافة العربية في المملكة العربية السعودية بين ... — الأستاذ محمود حافظ عبد الرب مرزا — ٦٤

من تاريخ الأدب العربي الحديث :

المراحل الأولية لتطور الرواية العربية (حتى عام ١٩٥٠م) — الأستاذ د/مجيب الرحمن الندوي — ٧٦

صور و أوضـاع :

جمهوريات ولكن بدون الحقوق الديمقراطية — واضح رشيد الحسني الندوي — ٨٤

بأقلام الشباب :

رواسب الاستعمال الفاحش للمفردات العربية — الأستاذ محمد فرمان الندوي — ٩١

أخبار علمية و ثقافية :

١- لجنة دار الأيتام التعليمية والخيرية في نيلامبور (كيرالا) — قلم التحرير — ٩٤

٢- مؤتمر أكاديمية الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في باتكل — ٩٥

٣- رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية — ٩٦

٤- حفلة في مدرسة مفتاح العلوم ، ببلدة "بيوندي" — ٩٧

٥- القسم العربي بجامعة عليكراه الإسلامية ؛ يعقد ندوة أدبية قومية — ٩٨

٦- مركز الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية في مظفرفور — ٩٩

خزينة الكتب

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

منة الإسلام الدائمة على العالم البشري أجمع !

يوم كان الإنسان يعيش هملاً دون تقيد بشريعة أو التزام بقانون ، وكان كُلّ ما يهمه أن يخضع أمام قوة مادية كبيرة أو رجل مادي مسيطر على سلطة أو كنز أو منصب عال ، فكان ذلك همه الوحيد ومجاله الواسع الذي يشغل جميع طاقاته وأوقاته ، حتى لم تتوافر له فرصة لاكتساب المعاش بصورة منتظمة ، وإنما كان يرضى بما حصل له من فتات الموائد أو فوائض الأموال لدى الأغنياء ممن كانوا يرثون لسوء حال الملتزمين بعتبات قصورهم وأبواب دواوينهم ، وقد يكون من هؤلآء البؤساء ، شاعر يقرض قصيدة في مدح الأمير أو الوزير ، أو كاتب يفيض قلمه في الثناء المسجوع أو خطيب يخطب حول الفضائل التي يصف بها الرجل ، وبهذه المهنة من التكسب وحدها يرضى هو ، ويُرضى ضميره ، وليس له بعد ذلك هم أو قضية أو مشكلة .

هكذا أو ما يشبهه ، كان الناس يقضون لحظات الحياة الغالية ، ولعل عصر الإنسان الجاهلي كان أكثر فراغاً من الهدف الأصيل الذي توخاه الله تعالى من خلقه ، يتجلى ذلك في تاريخ ذلك العصر الذي يشير إلى أن الغطرسة والكبرياء قد بلغ بالإنسان إلى آخر المدى ، فكان يتصرف في شئون الحياة كيفما شاء ، ولا يبالي بما إذا تصادمت حرية الرأي ، كرامة الحياة وحرمات العرض والدم والنفس ، فكانت السمة البارزة للحياة الاجتماعية التشتت والتمزق ، وكانت للحمية القبلية

والأسرية، جولة وصولة في كل مكان، أدت إلى معارك دامية، وانتهاكات للشرف وعزة الإباء والكرم، وإلى انحدار خلقي كبير، لم يكن هناك سند يستند إليه المرء في شئونه ويتحاكم إليه في مشكلاته، ولا قانون يحترمه ويعترف بسيادته، وذلك هو السبب الرئيس الذي وجّه الحيرة والشقاء للإنسان، على رغم حضارات وفلسفات مادية كانت هي الأخرى يتولاها المدنيات المتجسدة في الجص والآجر، والقصور الباذخة والبنايات الضخمة، والمتمثلة في استعباد الإنسان للإنسان، وظلم الكبير القوي، الصغير الضعيف، وألوان من السعادة للأقوياء، ومثلها من الشقاء للضعفاء والبؤساء، ذلك هو المقياس الزائف الذي كان الناس يخضعون أمامه بحكم الطبائع المصطنعة الزائغة، وامتزاج عبادة القوة بالدماء والشرايين، دون أن يكون ثمة تفكير في هذا الوضع الشائن، واستبداله بما هو أجدر بأشرف خلق كرّمه الله تعالى، وأضفى عليه لوناً ثابتاً من الطهر والقدسية والعدل والمساواة، وجلّ ما وجد أن يهتم الناس أفراداً وجماعات بخدمة مصالحهم والحصول على لقمة من العيش، ولو تحقق ذلك بطريق إجرامي وبأي وسيلة غير شرعية وبظلم وجور وسفك دماء.

إن قليلاً من الموازنة بين الوضع الإنساني القديم، والأوضاع السائدة التي يعيشها الإنسان في عصر التقدم العلمي والتقني الحديث، سيسفر عن نتيجة واحدة، وهي الحيرة والظلام وعبادة النفس والهوى، والانطلاق نحو حضيض البهيمية التي تكون نادرة الوجود في الأزمان المظلمة والعصور الحالكة التي هبط بالإنسان إلى مهوى سحيق من الرذائل والمنكرات، ولكن عصرنا اليوم جعل كل شئ في نطاق الفلسفة، فالجرائم الخلقية لها فلسفة، وشهوة المال والحرص على المصلحة الشخصية، وإزالة العوائق في طريق المعاصي وممارسة

الشهوات والملذات، كل ذلك يأتي في دوائر الفلسفات الحضارية التي توحي إلى بناء مستقبل مشرق في أقرب فرصة - فيما زعموا - بل وقد تجدد اليوم كثير من الجرائم والسيئات وتسترت بستار الفلسفة، والتقنية، وغطت الحياة كلها، حتى أصبحت علامة للتطور الاجتماعي والتنور العقلي، فكل من لا يتقن هذا الفن لا حقّ له في إبداعات العصر، والانتفاع بما تفيض به عليه من خيرات وتسهيلات وما تفتح عليه من آفاق جديدة للحياة والاجتماع.

هناك اختلال كبير في التوازن الإيماني والسلوكي وحيد عن طريق الوسطية التي هي ميزة الإنسان بإزاء الكائنات الأخرى التي ليست مسئولة عنها، ولكن ابن آدم الذي هو أشرف الخلق كله ومسئول عن جميع خلال الإنسانية تنحرف به الطريق، فهو ينصرف عن الموضوعية إلى غايات لا تمت إليها بصلة، وتدور بين إيجابيات تارة وسلبيات تارة أخرى من غير توجيه عقدي، أو خضوع لاستجابات الطبيعة الإلهية: ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِيْ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا * لاَ تَبْدِيْلَ لِخَلْقِ اللهِ * ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيِّمُ * وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُوْنَ ﴾ وكلما اختلت الوسطية وفقدت اتزانها، ضلت الأمة طريقها المستقيم، و وقعت في متاهات من الغي والتمرد والطغيان، دون أن تحمل إلى الناس شهادة الإيمان والعقيدة والعمل والسلوك والعلاقات المخلصة الشفافة التي تجمع الناس كلهم تحت لواء واحد من الحب والحنان، والثقة المتبادلة بين الإنسان والإنسان، ومنذ ذلك الوقت سميت الأمة "أمة وسطاً" ونيطت بها فريضة الشهادة بجميع ما لها من معنى، ويرادفها شهادة الرسول الحبيب ﷺ للأمة الوسط على التزامها بجادة الحق والعدل، والسمو والشمولية: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُوْنُوْا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ * وَيَكُوْنُ الرَّسُوْلُ عَلَيْكُمْ شَهِيْداً ﴾.

أليس الوضع الحضاري الذي يطغى على الناس في عصر العلوم والإبداعات أشد خطراً على العالم البشري من ذلك الوضع السيئ الأسوأ الذي عاشه الإنسان في القرنين السادس والسابع ؟ فقد تجرد المجتمع البشري اليوم من الشعور بمسئوليته التي تعود عليه نحو نشر الفضائل الخلقية ، وإنقاذ الناس من الممارسات التي تتصادم مع الطبيعة الإنسانية والقيم الخلقية ، وساد الهبوط الفكري إلى آخر درجة غاب فيها تصور العدل والنصح والعطف على العنصر الضعيف من البشر ، واستولت المطامع والدوافع السافلة وانتهاك الحرمات ، على النفوس ، ولعل حرمة الإنسان المسلم بل الأمة الإسلامية بكاملها أو دينها السماوي الحنيف ، وكتابها المعجز الكريم ، ورسولها خاتم الأنبياء والمرسلين العظيم ﷺ كل ذلك أصبح مستهدفاً من خلال ذلك الحقد البغيض الذي تركز في عقول وأذهان الأمم الضالة والمغضوب عليها ، وهي لا تقصر جهداً في إطلاق سهامها المسمومة نحو الدين الإسلامي وحملة كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وليس ذلك سراً يجهله العالم ، وإنما أصبح هذا الحقد حقيقة مكشوفة ، لا تخفى على أحد ، وقد أشار كتاب الله تعالى إلى هذا الجانب في التنزيل حيث قال في سورة البقرة : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى * حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ .

وقد شهد التاريخ الإسلامي محاربة اليهود وأتباعهم من النصارى دينَ الإسلام والعقيدة الإسلامية ، وما أنزله الله سبحانه وتعالى من كتابه المعجز القرآن الكريم الذي بذلت جهود فاشلة لإدخال تحريفات فيه قديماً وحديثاً ، واتهام المسلمين بالإرهاب وتعويق طرق التطور الحضاري والعلمي ، كل ذلك معلوم لدى العالم البشري شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، وغير ذلك من محاولات مبذولة ومستمرة على تفنيد تعاليم الإسلام واعتباره ديناً طُوي بساطة ، ولم يعد

للمسلمين إلا طريق واحد وهو أن يعدّلوا تعاليم الإسلام ويغيروا توجيهاته القديمة ومناهجه التعليمية والدعوية بما يتفق وطبيعة العالم المتغير ، ويختصروا القرآن الكريم بإخراج آيات وسور لا حاجة إليها اليوم ، وما إلى ذلك من هفوات ولغو من القول مما تعودوا عليه فينة لأخرى ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ * وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَر ﴾ .

ومن أراد أن يطلع على هذه البغضاء والعداء الذي تغلي به صدورهم ضد الإسلام ، فليقرأ ما جاء من تصريح بالحقد الذي كان يكنه البابا الفاتيكان بنديكتوس السادس عشر ضد الإسلام الخالد الدائم ، إسلام الطبيعة الإنسانية والفطرة الإلهية ، الذي أثار ضجة في العالم كله .

وهذا بيان عنه :

- في ١٢/سبتمبر سنة ٢٠٠٦م .. ألقى بابا الفاتيكان "بنديكتوس السادس عشر" ، محاضرة عن علاقة العقل بالإيمان في المسيحية .. وذلك بجامعة "ريجنسبورغ" .. بمدينة "رايتسبون" الألمانية ...
- وكانت المفاجأة هي بدء البابا محاضرته بالهجوم على الإسلام ! .. بل واستغرق الهجوم على الإسلام ربع هذه المحاضرة ! ..
- ولقد طال "الهجوم البابوي" على الإسلام :

١- الذات الإلهية .. التي زعم البابا أن مشيئتها "في الإسلام" متسامية ، لا تخضع للعقل ولا للمنطق .. بل إنها "بزعمه" لا تلتزم حتى بكلمتها الخاصة !!

٢- ورسول الإسلام ﷺ الذي زعم البابا أنه لم يأت إلا بكل ما هو سيئ وشرير ولا إنساني .. ومن ذلك أمره نشر دينه بالسيف !..

٣- والخلط بين الجهاد الإسلامي وبين الحرب المقدسة في المسيحية ، الحرب الدينية ... والادعاء بأن الإسلام إنما يؤسس للعنف والإرهاب !

٤- والافتراء البابوي على القرآن الكريم .. الذي وصف البابا آياته بأنها "تعليمات أوامر اللئام" !! ..

وعبر العالم كله عما أثارت محاضرة البابا - هذه - من موجات من الغضب والرفض والاحتجاج والاستغراب .. حتى لقد تناولت مجلة "نيوز ويك" - الأمريكية - التعليق على هذه المحاضرة ، فجعلت عنوان غلافها ، عدد ٢٦/سبتمبر سنة ٢٠٠٦م : (بنديكتوس السادس عشر .. ماذا دهاه ؟) .

وقالت "النيوز ويك" : "إن البابا تناول الإسلام بطريقة خرقاء"..

- فهل كان هذا التوصيف لمحاضرة البابا هو التوصيف الدقيق ؟
- وهل هذا لموقف "الفاتيكاني - البابوي" من الإسلام ، هو مجرد "حماقة خرقاء" ؟..

أم أننا أمام تاريخ طويل من العداء الشديد للإسلام .. ومن ثقافة الكراهية السوداء لأمة الإسلام ؟..

لدراسة هذه القضية .. والإجابة على هذه التساؤلات .. كانت هذه الدراسة . (نقلاً من مجلة "المجتمع" الكويتية الغراء - ع/١٧٤٣)

من كان يتصور أن البابا السادس عشر الجديد ، سيصل إلى هذا المستوى من السفالة والأسلوب غير العلمي إزاء كراهيته للإسلام ، ذلك الإسلام الذي أفاض على العالم ما أفاض من معادن الخير والإنسانية بصورة دائمة ، وسوف لا يستغني عنها العالم البشري بجميع ألوانه وعقائده في يوم من الأيام ، فكيف صدر من آخر شخصية ممثلة للمسيحية في العالم كله ، مثل هذه اللاغيات ؟!

يقول الله تعالى : ﴿ كَلاَّ ! بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوْبِهِمْ مَّا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ﴾ . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

آية من القرآن : تفتح قلب يهودي

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

مرّ بنا في الحلقة الأولى ، عن كعب الأحبار رحمه الله ، وما وجد منْ كتاب ، ثم لما قرأه على مجموعة من أحبار اليهود ، لانتْ قلوبهم ، وأسلم منهم ٤٢/حبراً ، بفهمهم لآية من القرآن الكريم ، وجاءت في هذا الكتاب ، مما ألان الله به قلوب من أراد سبحانه لهم الخير ، وليكونوا قدوة لغيرهم .. لتقوم الحجة على من لم يستجب لداعي الهدى .

وأن عمر بن الخطاب ر، حَرِصَ ، على أن يُعمّي قبر النبي دانيال ، حتى لا يفتتن به الناس ، وسار على منهجه كعب الأحبار في إخفاء أثر هذا الكتاب ، الذي هو التوراة ، كما أنزلها الله على موسى ، ما غُيّرتْ ولا بدّلت .

وفي حديث اليوم سنبيّن قصة إسلام كعب ، والآية الكريمة ، التي جعلها الله سبباً في سرعة إسلامه ، حيث توسّع أبو نُعَيم الأصبهاني في ترجمته ، وذكر بعض الشئ من كلامه وأخباره ، ومن ذلك قوله بالسند إلى شيخ من الفقهاء قال : إنّ كعباً قال لعمر بن الخطاب ﷺ ، حيث أسلم في ولايته : بأنه مرّ برجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، وسمعه وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْكِتَابَ * آمِنُوْا بِمَا أَنْزَلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ * مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَّطْمِسَ وُجُوْهاً * فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا * أَوْ نَلْعَنَهُمْ * كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ

السَّبْتِ * وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُوْلاً ﴾ (النساء/٤٧) .

فأسلم كعب من يومها ثم قدم على عمر ، فاستأذنه بعد ذلك في الغزو إلى الروم ، فأذن له ، فانتهى إلى راهب قد حبس نفسه ، في صومعة أربعين سنة ، فناداه كعب ، فأشرف عليه الراهب ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا كعب الحبْر ، قال : قد سمعت بك فما حاجتك ؟ قال : جئت أسألك عن حالكَ : نَشَدْتُكَ بالله ، هل حبسْتَ نفسك في هذه الصّومعة ، إلا لآية تجدها في التوراة ؟ : إن أصحاب رؤوس الصوامع البيض ، هم خيار عباد الله ، عند الله يوم القيامة ، قال : اللهم نعم ، قال : فَنَشَدْتُكَ بالله هل تجد في الآية التي تتلوها ، أنهم الشّعث الغُبْرُ ، الذين أولادهم يتامى لِغَيْبةِ آبائهم وليسوا يتامى ، ونساؤهم أيامى لغَيبة أزواجهن ، ولسْن بأيامى ، أزودتهم على اكتفاهم ، تحملهم أرض ، وتضعهم أخرى ، يجاهدون في سبيل الله ، هم خيار عباد الله ؟ قال : اللهم نعم ، قال : هذه ليست تلك الصوامع ، إنّما هي فساطيط أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، يغزون في سبيل الله ، وليست هذه الصومعة التي حَبَسْتَ فيها نفْسَكَ .

فنزل الراهب إليه فأسلم وشهد معه شهادة الحقّ ، وغزا معه الروم ، وانصرف إلى عمر ، فأُعْجب عمر بإسلامهما .

فكانت الرهبانية بدعة فيهم ، كما قال سبحانه : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوْهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ * فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ (الحديد/٢٧) .

وجاء في رواية أخرى ، بالسند إلى يزيد بن شريح ، قال : قال كعب : "لما قرأتُ هذه الآية : ﴿ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَّطْمِسَ وُجُوْهاً * فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا * أَوْ نَلْعَنَهُمْ * كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ (النساء/٤٧) ،

أسلمت حينئذ شفقة أن يحوّل الله وجهي نحو قفاي ، وما ذلك إلا أنه يعرف الله حق المعرفة ، والعلماء رحمهم الله يقولون : مَنْ كان بالله أعرف كان منه أخوف ، وأصدق من ذلك قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر/٢٨) .

وكان من قول كعب : أوّل ما أنزل من التوراة : عشر آيات ، وهي العشر التي نزلت في آخر الأنعام ، وهي التي يسميها بعض المفسرين : الوصايا العشر .

وروى عاصم بن بهْدلة ، عن أبي صالح عن كعب قال : إن الله اختار من الشهور ، شهر رمضان ، واختار من البلاد مكة ، واختار من الأيام يوم الجمعة ، و اختار من الليالي ليلة القدر ، و اختار الساعات ، فخير الساعات للصلوات ، فالمؤمن بين حَسَنَتَيْن : فَحَسَنَةٌ قضاها ، وأخرى ينتظرها .

كما قال : اختار الله البلاد ، فأحبّ البلاد إلى الله البلد الحرام ، واختار الله الزمان ، فأحبّ الزمان إلى الله الأشهر الأوائل الحُرُمْ ، وأحبّ الشهور ذو الحجة ، وأحبّ ذي الحجة إلى الله العشر الأول ، واختار الله الأيام ، فأحبّ الأيام إلى الله يوم الجمعة ، واختار الله الليالي ، وأحبّ الليالي إلى الله ليلة القدر ، واختار الله ساعات الليل والنهار ، فأحبّ ساعات الليل والنهار ، إلى الله ساعات المكتوبات ، واختار الله الكلام ، فأحبّ الكلام إلى الله : لا إله إلا الله ، والله أكبر وسبحان الله والحمد لله .

وأورد كلاماً جاء عن كعب ، بأنّ الله تعالى ، قال لموسى بن عمران - في التوراة - : إني افترضت الصيام على عبادي ، وهو شهر رمضان ، يا موسى : إنّه من وافى يوم القيامة ، وفي صحيفته صيام

عشر رمضان ، فهو من المخبتين ، ومن وافى بعشرين من رمضان ، فهو من الأبرار ، ومن وافى بثلاثين من رمضان ، فهو أفضل من الشهداء عندي ، يا موسى بن عمران : إني أمرت حملة عرْشي ، أن يُمْسكُوا عن العبادة ، إذا دخل شهر رمضان ، وأنهم كلّما دعا صائمو شهر رمضان ، أن يقولوا آمين ، فإنّي آلَيتُ على نفسي ألا أردّ دعوة صائمي شهر رمضان ، يا موسى : إني ألهمت السماوات والأرض ، والجبال والشجر والدواب ، أن يستغفروا لصائمي شهر رمضان ، إلى آخر ما ذكر أبو نُعيم في الحلية ، فيما يتعلّق بشهر رمضان وغيره ، فنأخذ منه ما وافق شريعة الإسلام بمصدريها .

كما أنّنا نحن معاشر المسلمين ، في غنىً عمّا جاء في التوراة ، فقد كان في كتاب ربّنا ، وسنّة نبينا محمد ﷺ ، ما يكفي ويَشْفِي ، في شهر رمضان ، وفضائله ، حتى إنّ الجنة تتزيّن في رمضان استعداداً لاستقبالهم ، وسمّى رسول الله ﷺ ، باباً من أبوابها بالريّان لا يدخل معه غيرهم ، فإذا تكاملوا أُغلق ، وإنّ مَرَدَةَ الشياطين ، تصفّد في رمضان ، وحدّد رسول الله ﷺ كم في كل ليلة من يُعتق الله من النار ، لأنّ رمضان أوله رحمة ، و وسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .

ومن نعمة الله على أنه محمد ﷺ ، أنْ بَقُوا محافظين على صيام رمضان وقيامه ، مع زيادة العبادة فيه في الوقت الذي ، تهاون أهل الكتاب بفضل رمضان ، ومكانة العبادة ، فعدّلوا وبدّلوا في شرع الله الذي شرع ، وعَصَوْا أنبياءه .

وأورد أبو نعيم أخباراً عن كعب ، هي من علامات الساعة ، قد علّم رسول الله ﷺ عنها أمته ، منها قوله :

ستكون فتنة ، تُستحَلّ فيها الدماء والأموال والفروج ، ثم

تكون فتنة الدجّال ، وبعد أن أفاض في يأجوج ، ومأجوج قال كعب : يمكث الناس بعدهم في الرخاء عشر سنين ، مع الخصب والدعة ، ثم يبعث الله ريحاً طيبةً ، فلا تدع مؤمناً إلا قبضت روحه ، ثم يبقى الناس بعد ذلك يتهارجون ، كما تتهارج الحُمُر ، في المروج ، حتى يأتيهم أمر الله والساعة ، وهم على ذلك .

📖 **الله الحافظ :**

يقول فهد المارك ، في كتابه : عن الملك عبد العزيز رحمه الله : القصة التي سأرويها ، تعبّر عن شجاعة عبد العزيز ، تلك الشجاعة التي يستمدّها من إيمانه بالله ، وخلاصة القصّة : في إحدى المعارك التي خاضها عبد العزيز ، مع ابن رشيد ، والتي تخلّى فيها عنه ، قسم من البدو ، مما أتاح لقوم ابن رشيد ، أن يحقّقوا النصر ، بعد أن كان النصر في بداية المعركة لعبد العزيز .

بعد ذلك ذهب عبد العزيز لرؤساء تلك القبيلة ، ممتطياً جواده ، وقال لهم : يا بني فلان ، لا لوم عليكم ولا علينا ، الحرب يوم لنا ويوم علينا ، فو الله لئن أحياني الله ، لآخذنّ الثأر لكم .

قاصداً أن يظهر نفسه جاهلة للأمر الواقع ، وإن جاء بصورة غير مباشرة عن السبب ، هؤلاء الذين هربوا من المعركة ، بعمد وتصميم ، قاصدين إحداث بلبلة في صفوف المقاتلين .. وموضوع الإعجاب ببطولته ، فإنه عندما حان وقت الصلاة ، قال عبد العزيز : فلنؤدّ الصلاة ، وليتقدم أحدكم إماماً لنا .

فقالوا : ما أحد يستطيع أن يتقدّم على الإمام ، فضرب كفّيه بالأرض تيمّماً ، وقال : عبارة تعبّر عما في نفسه ، أبلغ تعبير ، لما عنده من الريبة ، من أن يفتك به هؤلاء القوم ، الذين هم أصدقاء في

الظاهر ، وأعداء في خفايا نفوسهم ، والعدوّ المستتر أخطر من العدوّ الظاهر .

قال عبد العزيز عندما استقبل القبلة : "اللهم إني أعوذبك من همزات الشياطين" ثم رفع يديه إلى السماء ، وقال : الله أكبر ، أي تكبيرة الإحرام ، فكأنه يقول بقلبه ، مناجياً ربّه الله أكبر من غدر الغادرين ، والله أكبر من مؤامرة المتآمرين ، والله أكبر من كيد الكائدين ، فهو خير منقذ ومعين ، وهو أرحم الراحمين .

في تلك الفترة التي وجّه فيها عبد العزيز وجهه إلى ربّه ، انقسم القوم قسمين : قسم غلبت عليهم الضغينة ، والأحقاد ، وضعف الإيمان ، وأشار أحدهم إلى الآخر ، بأن ينتَضِي هذا وذاك سيفيهما ويهويان عليه .

فهدّد القسم الثاني : مشيراً بالسيوف ، إشارة خفيّة ، تعني أنه إذا حاول أحد كما أن ينتَضِي سيفه ، قاصداً الفتك بعبد العزيز ، فإننا سوف نباشر الهجوم عليكما ، قبل أن تنالا منه .

وهكذا حفظ الله عبد العزيز ، من نتيجة مؤامرة غادرة ، نتيجة مغامرته ، كادت أن تذهب فيها حياته ، لو لا عناية الله ، ولو لا اتّكاله على العزيز القدير : ﴿ **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ (الطلاق/٣) نعم المولى ونعم النصير . (من شيم الملك عبد العزيز : ج/٣ ، ص/٣٢٨)

***

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين

***

ضرورة توحيد التصور الإيماني لقضايا المسلمين اليوم وضرورة توحيد الصف الإيماني !

بقلم : الدكتور عدنان علي رضا النحوي
www.alnahwi.com info@alnahwi.com

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وخروج أمريكا أقوى وأشدّ ، وحلفاؤها الأوربيون منهكون ضعفاء ، أبرز هذا الوضع ما كان يسمى بالنظام العالمي الجديد ، وقد برز أثر هذا النظام العالمي الجديد في حرب الخليج الثانية حيث اعتمدت أمريكا عليه لتقود العالم أو جزءاً كبيراً من العالم إلى هذه الحرب ، دون وجود مسوّغات تجمع هذا الجمع إلا سلطان أمريكا وسيطرتها ، وأعلن الرئيس بوش مبادئ في سياسة أمريكا لم تخرج عن تأكيد مصلحة أمريكا ذاتها قبل كل شئ ، فكان من بين ما قال :

"ليس للولايات المتحدة النية أن تفرض حلفاً أمريكياً ، ولكن سنظل ملتزمين ؛ ولن ننسحب أو نتقوقع في الانعزالية ، نحن نقترح الصداقة والقيادة" (١) .

ولقد وفرت أمريكا لنفسها أهم المؤسسات التي تعينها على ممارسة القيادة العالمية ، وأهمها : وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ، الجيش الأمريكي ، جيش البحرية الأمريكية ، الوكالة الأمريكية للاتصال العالمي ، وغير ذلك .

وقد قسمت أمريكا العالم إلى مناطق نفوذ ، يخطط لكل منطقة طاقات متفرّغة لعملها ، يخططون ويهندسون ، وينظمون المؤامرات

(١) باتريك هرمان : "العالم حسب بوش ، ميلاد نظام عالمي جديد في القانون الدولي وسياسة المكيالين" ، تعريب أنور مغيث ١٩٥٥م : ص/٣٨ ، و د/بركان محمد مراد : ص/١٣٤ .

والاغتيالات والانقلابات ، وتعمل بكل الوسائل على فرض النموذج الأمريكي تمهيداً للسيطرة والهيمنة والتدخل في جميع أشكاله سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً ، تحت شعارات التعاون والتبادل وغير ذلك ، وبذلك ملكت القدرة على تسخير المؤسسات الدولية مثل مجلس الأمن وغيرها ، وتتكرر الزيارات المكوكية لمسئوليها إلى الأراضي المحتلة فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين لتنسيق الأدوار وتخدير الشعوب ، و وضع تصورها الخاص لقضية فلسطين والعراق والصومال وغيرها ، وتحريف الحقائق والوقائع ، وتزيينها بزخرف كاذب !

فمنذ سنة ١٩٢٠م عرفت فلسطين جهادها الأول ضد الإنجليز واليهود معاً ، ومضى الجهاد بعد ذلك يتفجر في أرض فلسطين : (١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٨م) ، وامتدّ حتى يومنا هذا !

ولم تكن جولة ١٩٢٠م هي أول صدام مع اليهود في فلسطين ، فلقد كان أذاهم معروفاً قبل قرن من الزمان تقريباً ، حين اصطدم أهل مدينة صفد مع اليهود بحدود سنة ١٨٣٢م ، أثناء غزو إبراهيم باشا لفلسطين ، ومنذ ذلك التاريخ انكشف تدخّل قناصل الدول الأجنبية لصالح اليهود بشكل جلي .

ومنذ تلك السنة كانت تجد أهل الجهاد هم رجال الإسلام وهم العلماء وهم الذين ينزلون الميدان ، وفي كل وثبة كنت تجد مشاعلها جنود الإسلام ، وتجد وقودها هم جنود الإسلام .

ففي فلسطين قاد العمل علماؤها منذ بدايته : الحاج محمد أمين الحسيني وإخوانه ورفاقه في الجهاد ، ومن العالم العربي تدفق جنود الإسلام يقاتلون في سبيل الله ، ويضربون أروع الأمثلة في الجهاد والاستشهاد ، ومن العالم الإسلامي تحرّك جنود الإسلام كذلك يحنّون إلى فلسطين حنيناً شديداً ، وكان المؤمنون صفّاً واحداً .

ربما يحاول بعضهم الإساءة إلى هذا الصف المؤمن بإثارة

عصبيات جاهليـة مؤذيـة ، وإشاعة روح من فتنة ، فيثيرون في حمى العاطفة شقاقاً يدعونه بين مؤمن ومؤمن ، ومجاهد ومجاهد ، بعد أن قضى هؤلاء المؤمنون ، ومضى جهادهم ، وأصبح أمرهم بين يدي الله العزيز الغفّار ، فتثور حماسة لهذا ، وذاك لذاك ، في فتنة لا تفيد جولة ولا تُغذّي إيماناً ، مضى المجاهدون الأعلام وما اختلفوا ، واختلف عليهم القاعدون اليوم .

لقد مضى الشيخ عز الدين القسام رحمه الله وهو مجاهد مع هذا الصف المؤمن الواحد ، صفّ لم تطرقه فتنة ، ولم يُفرّقه شقاق ولا خلاف ، وما كان لهم أن يقعوا في ذلك ، فإيمانهم وعلمهم يعصمهم من ذلك كله ، وعسى أن يتعلّم الناس دروساً من صدق النية وسلامة القصد في ميادين الجهاد خاصة من أولئك الرجال الأعلام .

وسيمضي الجهاد في فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين ، جهاد المؤمنين ، جهاد الأمة المسلمة ، مهما ظهرت فينا بوادر ضعف وهوان ، فما زال في الأمة جذوة الخير ، وعصارة الإيمان ، ونواة البركة ، وما زال فيها الصادقون ، وسيمضي الصادقون يطرقون أبواب الجنّة في فلسطين ، وفي أفغانستان والعراق والشيشان والصومال وكشمير ، وفي سائر ديار المسلمين .

ولكنها دروس يتعلّم منها المؤمنون ، فلو عدنا إلى سنة ١٩٤٧م ، عندما أعلن التقسيم ، هبّ أهل فلسطين ، وأعلن الإنجليز إلغاء الانتداب ، في ذلك الوقت كان أهل فلسطين يستطيعون مجابهة الأحداث ، ومتابعة الجهاد في أرضهم وديارهم وهم فيها ، لو مُدّوا بالسلام والمال والتدريب ، ولو حوربت الوسائل العلنية والخفيّة للتهجير والترحيل ، في هذه المرحلة أصرّت معظم الدول العربية على أن تتولّى هي قضيّة فلسطين ، وكان اليهود آنذاك أضعف بكثير مما أصبحوا عليه بعد سنين ، ولمّا اشتدّت قوة اليهود ، ونمت دولتهم سنة

بعد سنة ، أصبحتْ مجابهتهم تحتاج إلى ميدان أوسع ، وتلاحم أقوى ، وخطة أوعى ، وأصبح خطر اليهود أكثر وضوحاً ، وأكثر اتساعاً ، مما يستدعي قيام أمّة تبني قوتها وعدتها وخطتها لتفلح في مجابهة الموقف ، ولكن الدول العربية جعلت القضية في هذه المرحلة الجديدة بأيدي فئة محددة من الشعب الفلسطيني الممزّق .

دروس من الإيمان رسمها الإسلام للمسلمين جميعاً ، لتظلّ عبرة تتعلم منها الأجيال .

من أصعب ما يتحدث عنه المسلم اليوم مع شدة اضطراب الواقع هو قضية فلسطين ، على وضوح الحقّ فيها ، ولكن الصعوبة لا تنشأ من الإنسان نفسه ، الإنسان الذي وصفه القرآن الكريم ؛ فقال :

﴿ قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ (سورة عبس/١٧) .

الإنسان الذي جعل تاريخها المباشر كقضية سياسية يزيد على القرن من الزمن أو أكثر ، حتى حملت في هذا التاريخ الطويل هرج السياسة الدولية واضطراب الحياة البشرية ، وصراع الأطماع في معادلة معقدة متشابكة يزيدها الشيطان وجنوده من الإنس والجن بلاءً وتعقيداً ، وتنشأ الصعوبة كذلك من اضطراب التصور لها بين أبنائها وأهلها في العالم العربي والأمة المسلمة ، حتى اختلف التصور بين فئة وفئة ، وبلد وبلد ، وشعب وآخر ، وجيل وجيل ، وزاد الاختلاف حتى بلغ حدّ التناقض والصراع ، وتنشأ الصعوبة كذلك من الظلام المفزع الدامس الذي يلفّ واقعنا اليوم ، الواقع الذي يتلمس فُرْجة من ضياء ، وبصيصاً من نور ، في القلوب الصادقة مع ربّها ، والعزائم المشدودة إلى عهدها ، والخطى الثابتة على دربها .

ومع هذه الصعوبة فلا يزال للحديث عن قضية فلسطين سبيل وسعة ، فهناك معالم لابدّ من جلائها وتأكيدها ، على الدرب الممتدّ إلى فلسطين .

وأوّل قضية نودُّ أن نؤكدها هي ضرورة توحيد التصور الإيماني ، التصور الفكري لقضية فلسطين وغيرها من قضايا المسلمين اليوم ، ليكون تصوراً لا يقف عند الشعارات والرايات ، ولكن يدخل إلى أعماق القلوب والنفوس والعقول ، فيجمع طاقات الإنسان كلها فكراً و عاطفةً ، و إيماناً و موقفاً و عملاً ، ثم نهجاً واضحاً يحدد أهدافاً واضحةً ، تصوراً يربط النهج بالأهداف ، ليصبح تصوّر كلّ الشعوب المسلمة الممزّقة ، وليربط النهج والأهداف بالواقع من خلال منهاج الله ، وليحدّد المسئوليات والواجبات والمواقف .

لقد عرف تاريخ هذه القضية تصورات متباينة متناقضة متصارعة ، في واقع العالم الإسلامي ، وامتدّ التباين حتى برز في داخل الإطار الإسلامي ، وتناقضت الشعارات حتى في الميدان الواحد ، ونما التباين حتى أصبح كمية هائلة تحتاج وحدها إلى بحث وتمحيص ، لا تتسع له هذه الكلمة الموجزة ، ونما التباين في التصور حتى تحول إلى صراع مكشوف ، أو تنافس مدمّر ، وامتدّ التباين في التصور مع الزمن حتى أضعف المواقف والخطوات ، وحتى سهل عمليات التنازل وفتح أبواب المساومة ، وسهل تطويع بعض النفوس وترويض قطاعات في الأمة.

لابدّ من توحيد التصور الإيماني في قضية فلسطين ليكون هو التصور الذي يحمله الإعلام كله ، ويصوغه الأدب كله ، ونُغَذّي به أطفالنا ونساءنا ورجالنا ، ونمدُّ به التاريخ والأجيال ، وليكون شاهداً لنا لا علينا ، شاهداً على صدقنا بين يدي العزيز الجبار ، يوم الحساب ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ، قلب كانت سلامته في صدقه وإيمانه و وعيه ، يحمل التصور الحقّ الأمين ، سليم من الأهواء فاستقام تصوره وإيمانه ونهجه ، وانجلت أهدافه .

ولقد تسللت القومية إلى قلب الواقع الإسلامي ، وتسللت

الاشتراكية ، وتزاحمت الشعارات بين رأسمالية وديمقراطية وشيوعية ودكتاتورية وحداثية وعلمانيّة ، وعولمة ، تسللت هذه الأفكار كلها ، وكثير غيرها إلى النفوس في مرحلة امتدّ فيها الجهل بمنهاج الله ، واضطرب الإيمان والميزان ، حتى اختلطت كلها في أعماق الوعي ، وانعكست لتكشف نفسها في الكلمة والرأي والموقف ، لقد كان ضغط هذا التسلل رهيباً حتى انزلقت بعض الأقلام فنادت بالاشتراكية والديمقراطية ، وخلطتها وعجنتها مع الإقليمية والقومية ، وصبغتها بصبغة إسلامية ، وطرحتها في واقعنا السياسي وقضايانا الأساسية ، وقضية فلسطين بصورة خاصة .

فمن حيث الشعارات قد يلتقي الكثيرون على أنّ فلسطين أرض مسلمة ، وأنّ الحل الصادق هو الحل الإسلامي ، وتهييج العواطف كلّها ، وتثور النفوس تأييداً للحلّ الإسلامي ! وهذا حقّ ، ولكن ما هو الحلّ الإسلامي ، ما هو نهجه ؟ ما هي خطواته و مراحله ؟! وما هي المسئوليات والواجبات التي تنشأ عنه والمواقف التي تتحدد بها ؟! وما هي حجتنا في ذلك ؟! وكيف يخاطبنا العالم بها ؟!

لقد كان من أوضح آثار تسلل المناهج الغربية والشرقية إلى عقولنا وأفئدتنا هو غياب الحسم والمفاصلة ، حيث يفرض الإسلام الحسم والمفاصلة ، والحسم المفاصلة لا تعني الحرب والقتال دائماً ، ولا تعني الارتماء بالأحضان وتشابك الأيدي ، ولكن تعني استقلال النهج والممارسة ، و وضوح الأهداف ، والتقاء الدرب مع الأهداف ، التقاء تطمئن النفوس إليه ، حتى ترى أنّ الدرب يوصل إلى الأهداف حقّاً ، وهو يعني كذلك أنّ الأمة تحمل هذا النهج والعقيدة التي يقوم عليها لتدعو إليه وتبلغه للناس كافة ، دعوة واحدة ونهجاً واحداً ، وكان من أثر هذا أن اختلطت المواقف في تاريخ الأمة بين مواقف قومية وإقليمية ،

واشتراكية وديمقراطية تنسلّ في واقعنا تحت شعارات وطنية إسلامية .

من حيث الشعارات قد يلتقي الكثيرون على أنّ فلسطين أرض مسلمة ، ولكن ما هو إسلامها ؟! متى بدأ إسلامها ؟! كيف ارتبطت به ؟! وكيف تتحدد به المسئوليات والمواقف ، والنهج والأهداف ؟! ومدى التزام واقعنا اليوم بذلك كله ؟! وإذا لم يصدق الالتزام في واقعنا اليوم بالنهج المفصل والأهداف ، أو إذا لم يتوافر النهج المفصل فأين الخلل ؟! من نحن ؟! وعلى أيّ أساس نطالب بفلسطين ؟! لابدّ من الإجابة على هذه الأسئلة بوضوح ، فعليها وعلى الإجابة تتحدد المواقف والمسئوليات ، وتلتقي الشعارات والنهج والأهداف في مسيرة مستقيمة واحدة .

حتى يكون للأمة موقف واحد يجب أن نرد قضايانا كلها واحدة واحدة ، إلى منهاج الله ، لنخرج من ذلك بالخطة الواحدة والنهج الواحد ، ولا يمكن أن نفلح في ردّ الأمور إلى منهاج الله إلا إذا صفا الإيمان والتوحيد وصدق العلم بمنهاج الله ، و وعينا الواقع من خلال منهاج الله ، ليقوم على هذا الإيمان والعلم نهج وخطة يلتقي عليها المؤمنون الصادقون .

لا تستطيع فئة واحدة ولا جماعة واحدة ولا قطر واحد أن يجابه صفّاً دولياً واحداً يغزو العالم الإسلامي فكرياً وعسكرياً ، لابدّ من صف إيمانيّ واحد يحمل رسالة الله صادقاً أميناً عسى الله أن ينصره ، فالنصر من عند الله وحده !

ولبناء التصور الإيماني الواحد والصف الإيماني الواحد ، فإنّ المسئولية تقع على كل مسلم مؤمن ، وعلى كل داعية وعالم ، وعلى كل جماعة ! والحساب بين يدي الله شديد ، وعقابه في الدنيا والآخرة شديد .

***

الدعوة الإسلامية :

الحور العين

بقلم : سعادة الشيخ إبراهيم بن عبد الله المزروعي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد :

📖 مقدّمة :

في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "قال الله ﷻ" : "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذُن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر" ، مصداق ذلك في كتاب الله : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ * جَزَاءً بِّمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ﴾ (فتح : ٣١٨/٦ ، رقم/٣٢٤٤-م ، ٢١٧٤) .

وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال : "شهدت مع النبي الكريم ﷺ مجلساً وصفَ فيه الجنة حتى انتهى ، ثم قال في حديثه : فيها ما لا عين رأت ... إلخ" م ، ٢١٧٥ .

وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "موضع سوطٍ في الجنة خير من الدنيا وما فيها" (فتح : ٣١٩/٦ ، حديث رقم/٣٢٥٠) .

قال ابن القيم رحمه الله : "كيف يُقدر قدر دارٍ غَرسَها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ، و وصف نعيمها بالفوز العظيم ومُلكها بالملك الكبير ، وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ، فإن سألت عن أرضها وتُربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن بنائها فَلَبِنَةٌ من فضة

ولَبِنَةٌ من ذهب ، وإن سألت عن وجوه أهلها وحُسنهم ؛ فعلى صورة القمر ، وإن سألت عن سماعهم فغناءُ أزواجهم من الحور العين ، وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهنّ الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهنّ ماءُ الشباب ، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود ، وللرمّان ما تضمنته النهود ، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللرِّقة واللطافة ما دارت عليه الخصور ، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت ، إذا قابَلت حبّها ؛ فقل : ما تشاء في تقابل النيّرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحِبَّين ، وإن ضمّها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين ، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جلاَها لمعانها ، ويرى مُخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حُلَلها ، لو أطلت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً ، ولَطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبةً و وصالاً ، مُبرَّأةً من الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مُطهّرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لا يفنى شبابها ولا تبلى ثيابها ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً ، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً ، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر ؛ قلت : هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها ، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة ، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة ، وإن غنّت فيا للذة الأبصار والأسماع ، وإن قَبَّلَتْ فلا شئ أشهى إليه من ذلك التقبيل ..." انتهى كلامه من كتاب الفوائد .

- الحور العين من نعيم الجنة .
- الحديث عن الحور العين يزيد الإيمان ويحث المسلم إلى المسارعة إلى طاعة الله .

📖 وصف الحور العين في القرآن الكريم :

وصف الله سبحانه حُور الجنة بأحسن الصفات ، وحَلاَهن بأحسن الحُلي ، وشوّق الخُطّاب إليهن حتى كأنّهم يرونهن رؤية العين.

والحور : جمع حوراء ، وهي المرأة الشابة الحسناء ، الجميلة البيضاء ، شديدة سواد العين .

والعين : جمع عيناء ، وهي المرأة الواسعة العين مع شدة سوادها وصفاء بياضها .

قال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ ﴾ (الرحمن/٥٦) ، والمفسرون كلهم على أن المعنى : قصَرْنَ طرفَهُنّ على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم ، لم يطمثهن : أي لم يمسّهنّ ولم يطأهنّ إنس قبلهم ولا جان .

وقال تعالى : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (الرحمن/٥٨) ، قال الحسن وعامة المفسرين : أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان ، شبههنّ في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ، (تفسير القرطبي : ج/١٧ ، ص/١٨٢)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً ﴾ (الواقعة/٣٥-٣٧) ، قال ابن سعدي في تفسيره : "أي إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأةً غير النشأة التي كانت في الدنيا فجعلناهن أبكاراً صغارهن وكبارهن ، وعموم ذلك يشمل الحور العين ونساء أهل الدنيا ، عُرُباً : جمع عَرُوب وهي المرأة المتحبّبة إلى بعلها وحسن هيأتها ودلالها وجمالها ومحبّتها ، والأتراب : أي في سنٍ واحدةٍ ثلاثٍ وثلاثين سنة ، التي هي غاية ما يتمنّى أكمل سن الشباب" انتهى كلامه .

وقال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ (الرحمن/٧٠) ، فهن خيرات الصفات والأخلاق ، حسان الوجوه والأجسام .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً ﴾ والكواعب جمع كاعب وهي الناهدة ، أي بارزات النهود ، قال قتادة ومجاهد والمفسرون : قال الكلبي : هنّ اللواتي تكعّب ثديهن ، والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل .

📖 وصف الحور العين في السنة :

قال ابن القيم رحمه الله : فاسمع الآن وصفهن عن الصادق المصدوق ﷺ .

قال ﷺ : "إن أول زُمرةٍ تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، والتي تليها على أضوأ كوكب دُرّي في السماء ، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان ، يُرى مُخّ سُوقهما من راء اللحم ، وما في الجنة أعزب" (رواه مسلم/٢١٧٨ ، وأحمد/٧١٥٣) .

وقال ﷺ : "... لو اطّلتْ امرأة من نسء الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ، وأضاءت ما بينهما ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها" .

(البخاري ، فتح : ج/٦ ، ص/١٥ ، حديث/٢٧٩٦ ، والترمذي/١٦٥١)

وقال ﷺ : "إنّ أزواج أهل الجنة ليُغَنّين لأزواجهنّ بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، إنّ مما يُغنين به : [نحن الخيرات الحسان ، أزواج قوم كرام] ، ينظرون بقُرّة أعين ، وإنّ مما يُغنين به : [نحن الخالداتُ فلا نُمتنه ، نحن الآمنات فلا نَخفنه ، نحن المقيمات فلا نَظْعنَه] " .(الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع ، رقم/١٥٦١ ، ورقم/١٥٥٧)

قال ابن القيم :

أوَ ما سمعت سماعَهُم فيها
غناءُ الحور بالأصوات و الألحانِ
واهاً لذيّاك السماعُ
فإنّه مُلئت به الأذنان بالإحسان

واهاً لذيّـاك السمـــــــاعُ
من مثـــلِ أقمارٍ على أغصـــــان
نحـــنُ النـــواعمُ و الخوالـــــدُ
خيراتٌ كاملاتُ الحسن و الإحسان
طـــوبـــى لمـــن كنّا لـــــه
وكذلك طوبى للذي هو حظنا لفظان

ثم يقول :

نـــزّه سماعك إن أردت سمـــــاعَ
ذيّاك الغنـــا عن هذه الألحـــــانِ
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتُحـــرمُ
ذا و ذا يـــا ذلّـــــة الحرمـــان
حُبُّ الكتاب وحُبُّ ألحـــان الغنـــا
فـــي قلبِ عبدٍ ليس يجتمعـــان

وقال ﷺ : **"لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيـا إلا قـالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عنـدك دخيـل يوشـك أن يفارقكِ إلينـا"** . (أحمد وابـن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة ؛ رقم/١٧٣ ، صحيح الجامع /٧٠٦٩) فالحوراء تغار على زوجها الذي في الدنيـا وتشتاق إليه .

وقال ﷺ : **"إنّ للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مجوفـة طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فـلا يـرى بعضـهم بعضاً"** (متفق عليه وهذه الخيام غير الغرف والقصور) .

و فـي قولـه تعـالى : ﴿ **إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِيْ شُغُلٍ فَاكِهُوْنَ** ﴾ (ياسين/٥٥) ، قال عكرمة وابـن مسـعود والأوزاعـي ومقـاتل وأبو الأحوص وابن عباس : أي شغلهم افتضاض العذارى .

وقال ﷺ : **"إنّ الرجل ليصلُ في اليوم إلى مائة عذراء"** (البزار

والطبراني صححه الألباني في الصحيحة : ص/٣٦٧) .

وقال ﷺ : **"يُعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا مـن الجمـاع ، قيل : يا رسول الله أوَ يطيق ذلك ؟ قـال يُعطـى قـوة مائـة"** (الترمذي وصححه ، وقال الألباني في المشكاة : ص/٥٦٣٦ إسناده حسن بل هو صحيح) .

قـال ابـن القيـم : **"لا يلحقـهم بذلـك جنابـة فيحتـاجون إلى التطهر ولا ضعف ولا انحلال قوة ، بل وطؤهم وطءُ التلـذذ ونعيـم لا آفة فيه بوجه من الوجوه"** (الفوائد : ص/٢٦٩) .

وقال ﷺ : **"إن في الجنة لسـوقاً يأتونـها كـل جمعـة ، فتهُب ريحُ الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً ، فـيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً ؛ فيقـول لهـم أهلوهـم : والله لقـد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون : والله وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً"** .

(مسلم : ص/٢١٧٨ فنساءُ الجنة لا يزددن إلا حسـناً وحبـاً وطيبـاً وتـوداً لأزواجهن في الجنة)

🕮 ما جاء في اشتياق الصالحين إليهن :

قال ابن القيم : "والصالحون في هذه الـدار بعدمـا علمـوا بمـا جاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ في شأنهن ، يكونون في أشـد الشوق والحب لهن مما له أكبر الأثر في إقبالهم على طاعـة مولاهـم وأن يُقِر أعينهم بهنّ" .

قال ربيعة بن كلثوم : "نظر إلينا الحسن ونحن حولـه شـباب ؛ فقال : يا معشر الشباب أما تشتاقون إلى الحور العين ؟

وقال لي ابن أبي الحواري : حدثـني الحضرمـيُ قـال : نمـت أنـا وأبو حمزة على سطح ، فجعلـتُ أنظر إليـه يتقلـب علـى فراشـه إلى الصباح ، فقلت : يا أبا حمزة ما رقدت الليلة ، فقال : إني لما اضطجعتُ تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها وقد مـس جلـدي ، قـال : فحدثت به أبا سلمان ؛ فقال : هذا رجل كان مشتاقاً .

وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار : يا أبا يحيى شوّقنا ، قال : يا عطاء : إن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها ، لو لا أن الله تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا ، لماتوا من حسنها ، فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك أربعين يوماً . (ذكره القرطبي في التذكرة : ص/٥٥٦) .

فعلى المؤمن إذا أراد هذا النعيم من الجنة أن يجتهد في طاعة الله ويحافظ على دينه فإن سلعة الله غالية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

***

أبيات في وصف الحور العين من القصيدة النونية وغيرها لابن القيّم رحمه الله :

وصف الحور العين

وبعد هذه الجولة المباركة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم ﷺ ، وأقوال السلف الصالح مع ابن القيم (رحمه الله) فيما جاء عن عرائس الجنان ، يأخذنا معه في رياض الشعر واصفاً حسنهن بما يزيد في الشوق إليهن والاجتهاد في مرضاة من خلقهن .

يا خَاطِبَ الحُور الحِسان وَ طَالِباً
لِوصَالِهِنَّ بجَنَّةِ الحَيَوانِ
لو كُنْتَ تَدْري مَنْ خَطَبْتَ وَ مَنْ طَلَبْـ
ـتَ بذَلْتَ مَا تَحْوي مِنَ الأَثْمَانِ
فَاسْمَعْ صِفَاتِ عَرَائسِ الْجَنَّاتِ
ثُمَّ اخْتَرْ لِنَفْسِكَ يا أخَا العِرْفَانِ
حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلاَئقاً
وَ مَحَاسِناً مِنْ أجْمَلِ النِّسْوَانِ
وَ يَقُوْلُ : لَمَّا أنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا
سُبْحَانَ مُعْطِيْ الحُسْن و الإحْسَانِ

كَمُلَتْ خَلاَئِقُهَا وَ أُكْمِلَ حُسْنُهَا
كَالبَدْرِ لَيْلَ السِّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
فَيَقُوْلُ : سُبْحَانَ الَّذي ذَا صَنْعُهُ
سُبْحَانَ مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإنْسَانِ
وَ كِلاَهُمَا مِرْآةُ صَاحِبِهِ إذا
مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرَيَانِ
فَيَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِيْ وَجْهِهَا
وَ تَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بعِيَانِ
حُمْرُ الخُدُودِ تُغُورُهُنَّ لآلِئٌ
سُودُ العُيُونِ فَوَاتِرُ الأَجْفَانِ
وَ البَرقُ يَبْدُو حِينَ يَبْسِمُ ثَغْرُهَا
فَيُضِيءُ سَقْفَ القَصْرِ بالجُدْرَانِ
وَ الرِّيحُ مِسْكٌ و الجُسُومُ نَوَاعِمٌ
وَ اللَّوْنُ كالياقُوتِ و المرْجَانِ
وَهْيَ العَرُوبُ بَشَكْلِهَا وَ بِدُرِّهَا (١)
وَ تَحَبُّبٍ للزَّوجِ كُلَّ أوَانِ
بِكْرٌ فَلَمْ يَأْخُذْ بَكَارَتَهَا سِوى
المَحْبُوبِ مِنْ إنْسٍ وَ لاَ مِنْ جَانِ
فَاجْمَعْ قُوَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَغَمِّضِ
العَيْنَيْنِ وَ اصْبِرْ سَاعَةً لِزَمَانِ
مَا هَاهُنَا وَاللهِ مَا يَسوى قُلاَ
مَةَ ظُفْرِ وَاحِدَةٍ تُرَى بِجَنَانِ
لا تُؤثِرِ الأَدْنى على الأعْلَى فَإنْ
تَفْعَلْ رَجَعْتَ بِذِلَّةٍ وَهَوَانِ

(١) التفافها .

وَ إذا بَدَتْ فِـــي حُلَّةٍ مِنْ لِبْسِهَـــا
وَتَمَـــايلَـــتْ كَتَمَـــايُـــلِ النَّشْوانِ
تَهْتَـــزُّ كالغُصْنِ الرَّطِيبِ وَ حَمْلُـــهُ
وَرْدٌ وَ تُفَـــاحٌ عَلَـــى رُمَّـــانِ
وَ وَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَـــا وَ أَمَامَهَـــا
وَ عَلَى شَمَائِلِهَـــا وَ عَنْ أَيْمَـــانِ
كَالبَـــدر لَيْلَةَ تَمِّهِ قَدْ حُفَّ فِـــي
غَسَقِ الدُّجَى (٢) بكَوَاكِبِ الْمِيْـــزَانِ
فَلِسَانُـــهُ وَ فُـــؤَادُهُ وَ الطَّـــرْفُ فِـــي
دَهَشٍ وَ إعْجَابٍ وَ فِـــي سُبْحَـــانِ
فسَلِ المتَيَّمَ (٣) هلْ يَحلُّ الصَّبْرُ عَـــنْ
ضَـــمٍّ وَ تَقْبيلٍ وَ عَـــنْ فَلَتَـــانِ
وَسَلِ المتيَّـــمَ كَيْـــفَ مَجْـــلِسُهُ
مَـــعَ المَحْبُوبِ فِي رَوْحٍ وَ فِي رَيْحَـــانِ
فَيَضُمُّهَـــا وَ تَضُمُّـــهُ أَ رَأَيْـــتَ
مَعْشُوقَيْنَ بَعْـــدَ البُعْـــدِ يَلْتَقِيَـــانِ
غَـــابَ الرَّقِيْبُ وَ غَـــابَ كُلُّ مُنَكِّـــدٍ
وَ هُمَـــا بثَـــوْبِ الوَصْلِ مُشْتَمِـــلانِ
وَ يَـــزِيْـــدُ كُلٌّ مِنْهُمَـــا حُبّاً لِصَـــاحِبِـــهِ جَدِيْـــداً سائِرَ الأَزْمَـــانِ
يَا غَـــافِلاً عَمَّا خُلِقْتَ لَـــهُ انْتَبِـــهْ
جَـــدَّ الرَّحِيْـــلُ فَلَسْتَ بالْيَقْظَـــانِ
وَ لَسَوْفَ تَعْلَمُ حِيْنَ يَنْكَشِفُ الغِطَـــا
مَـــاذا صَنَعْـــتَ وَ كُنْتَ ذَا إمْكَـــانِ

(٢) ظلام الليل. (٣) اي المعبد المذلل، وتيمه الحب إذا استولى عليه - لسان العرب لابن منظور: ج/١٢، ص/٧٥.

وقال أيضاً:

وَ لله كـــم مـــن خيَّـــرةٍ إن تبسَّمتْ
أضـــاء لهـــا نـــورٌ من الفَجْرِ أعظمُ
فيـــا لـــذَّة الأبصـــار إنْ هِـــيَ أقبلتْ
و يـــا لـــذَّة الأسمـــاع حيْنَ تكلَّـــمُ
فـــإن كُنْتَ ذَا قَلبٍ عليْـــلٍ بحُبِّهـــا
فَـــلم يبقَ إلا وَصْلُهـــا لك مَـــرْهِمُ
تَـــراه إذا أبدتْ لـــه حُسْنَ وجْهِهَـــا
يَلـــذُّ بـــهِ قَبْلَ الوِصـــالِ و يَنْعمُ
وَ للوَرْدِ مـــا قـــد ألبسته خُدودهـــا
و للخَمْـــرِ مَـــا قَـــدْ ضَمَّه الرِّيقُ و الفَمُ
تَقَسَّمَ مِنْهَا الحُسْنُ فـــي جَمْعِ واحدٍ
فيـــا عَجَبـــاً مـــن واحِـــد يتَقَسَّمُ
إذا قَابَلَـــتْ جَيشَ الهُمُـــومِ بوَجْهِهَـــا
تَـــولَّي علـــى أعْقَابِهِ الجَيْشُ يُهْـــزَمُ
فيـــا خاطبَ الحَسْنـــاءِ إنْ كُنْتَ باغيـــاً
فَهـــذا زمـــانُ المَهْرِ فهـــو المُقَـــدَّمُ
و كُـــنْ مُبْغِضـــاً للخائِنَات لِحبِّهـــا
فَتَحْظَـــى بهـــا مِنْ دونهـــنِ و تَنْعِـــمُ
وصُمْ يَومـــكَ الأدْنَى لَعَلَّكَ فِـــي غَـــدٍ
تَفُـــوزُ بعِيْـــدِ الفِطْرِ و النَّاسُ صُـــومُ
و أقْـــدِمْ و لا تقنـــعْ بعَيْشٍ مُنَغَّصٍ
فمـــا فازَ باللَّذَّاتِ مَنْ ليس قَـــدمٌ يَقْـــدُمُ
فـــحيَّ علـــى جنَّـــات عـــدن فإنَّهـــا
منـــازلك الأولى و فيهـــا المخيَّـــمُ

(القصيدة النونية - لابن القيم: ج/٢، ص/٣٢٥ و ٣٨٨-٤٠٢)

***

أهمية التوحيد في ربوبية الله تعالى

بقلم : الدكتور حافظ أبو نعمان محمد إرشاد الله
(أستاذ مشارك ، قسم القرآن والدراسات الإسلامية - الجامعة الإسلامية - بنغلاديش)

📖 مقدمة :

إن التوحيد له أهمية كبرى ، ومكانة عليا في الإسلام ، لأن الإسلام هو دين التوحيد وسمّي دين الإسلام توحيداً ، لأن مبناه على أن الله تعالى واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له ، و واحد في ذاته وصفاته لا نظير له ، و واحد في إلهيته وعبادته لا ند له (١) ، وكذلك فإن ربوبية الله تعالى لها منزلة عالية ، ودرجة رفيعة في الإسلام ، لأن الله سبحانه وتعالى أول ما أخذ العهد والميثاق من جميع بني آدم في عالم الأرواح هو الإقرار والاعتراف بربوبيته تعالى وحده ، وكذلك أول ما نزل من القرآن الكريم في خمس آيات من بداية سورة العلق قد ذكر فيها صفة الله تعالى "الرب" وحدها مرتين ولم يذكر أي وصف ، أو صفة ، أو اسم من أسمائه الحسنى الأخرى حتى لم يذكر فيها اسمه الذاتي "الله" أيضاً ، وكذلك أول ما يسأل كل بني آدم بعد الموت هو سؤال "من ربك" كما جاء في الحديث ، فأهمية التوحيد في ربوبية الله تعالى تتضح بعدة طرق ، ومن هنا تقسم هذه المقالة - تسهيلاً للقراء الكرام - على نقاط تالية رئيسة :

١- معنى التوحيد وأقسامه .

(١) الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (مكتبة الرياض الحديثة) سنة الطبع : لم تذكر : ص/١٧ .

٢- معنى الربوبية وأقسامها .
٣- موقف القرآن الكريم في بيان أهمية التوحيد في ربوبية الله تعالى .
٤- موقف الحديث الشريف في بيان أهمية التوحيد في ربوبية الله تعالى .
٥- آراء العلماء والمفسرين والفقهاء في بيان أهمية التوحيد في ربوبية الله تعالى .
٦- خاتمة .

📖 **١- معنى التوحيد وأقسامه :**

معنى التوحيد : التوحيد مصدر وحد يوحد (من باب التفعيل) توحيداً ، أي جعله واحداً (٢) .

أقسام التوحيد : إن التوحيد له ثلاثة أقسام :

- الأول - توحيد الربوبية والملك :

وهوالإقرار بأن الله سبحانه وتعالى رب كل شئ ومالكه وخالقه ورازقه ، وإنه المحي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذي له الأمر كله ، وبيده الخير كله ، القادر على ما يشاء ، ليس له في ذلك شريك ، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر (٣) .

- الثاني - توحيد الأسماء والصفات :

وهو الإقرار بأن الله بكل شئ عليم ، وعلى كل شئ قدير ، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة ، والحكمة البالغة ، وأنه سميع بصير ، ورؤوف رحيم ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى ، وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يُشركون ، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى (٤) .

(٢-٣) المرجع السابق : ص/١٧ . (٤) المرجع السابق : ص/١٩ .

• الثالث - توحيد الإلهية :

المبني على إخلاص التأله لله تعالى ، من المحبة والخوف ، والرجاء والتوكل ، والرغبة والرهبة ، والدعاء لله وحده ، ويبنى على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له ، لا يجعل فيها شيئاً لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، فضلاً عن غيرهما (٥) .

وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاءوا به من عند الله ، وهي متلازمة كل نوع منها لا ينفك عن الآخر ، فمن أتى بنوع منها ولم يأت بالآخر فما ذاك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب (٦) ويمكن أن يقسم التوحيد إلى نوعين آخرين أيضاً :

• الأول - توحيد في المعرفة والإثبات :

وهو توحيد الربوبية ، والأسماء والصفات .

• الثاني - توحيد في الطلب والقصد :

وهو توحيد الإلهية والعبادة (٧) .

٢- معنى الربوبية وأقسامها :

معنى الربوبية : كلمة "ربوبية" مصدر لمادة (ر ب ب) وهذه المادة لغة تأتي لمعان :

ربه يربه رباً : ملكه (٨) رب الشئ : ملكه (٩) ، رب زيد الأمر رباً من

(٥-٦-٧) المرجع السابق : ص/٢٠ .

(٨) أبو الفرج جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري : لسان العرب ، نشر أدب الجورة ، قم - إيران ، ط/١٤٠٥هـ : ج/٩ ، ص/٤٠٠ .

(٩) جبران مسعود : الرائد معجم لغوي عصري (دار العلم للملايين - بيروت) ط/١٩٩٠م : ٧١٢/١ .

باب قتل : إذا ساسه وقام بتدبيره (١٠) وربيت القوم : سستهم ، وكنت فوقهم ، قال أبو نصر : هو من الربوبية ، والعرب تقول : لأن يربني فلان أحب إلي من أن يربني فلان يعني أن يكون رباً فوقي وسيداً يملكني ، كما جاء في حديث ابن عباس مع ابن الزبير : لأن يربني بنو عمي أحب إلى من أن يربني غيرهم أي يكونون على أمراء وسادة متقدمين يعني بنو أمية فإنهم إلى ابن عباس في النسب أقرب من ابن الزبير (١١) .

قال الطبري : المالك لشئ يدعى ربه (١٢) .

قال الخازن : الرب بمعنى المالك ، كما يقال : رب الدار ورب الشئ أي مالكه ؛ فالله تعالى مالك العالمين والمالك هو المتصرف بالأمر والنهي (١٣) .

وقال قتيبة : والرب المالك ، يقال : هذا رب الدار ، ورب الصنيعة ورب الغلام أي مالكه (١٤) .

فالرب يطلق على الله معرفاً باللام ومضافاً ، ويطلق على

(١٠) حسن المصطفوي : التحقيق في كلمات القرآن ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، إيران ، ط/١ ، ١٤١٦هـ : ج/٤ ، ص/١٧ .

(١١) أبو الفرج جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي ، المرجع السابق .

(١٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (دار المعرفة - بيروت) ط/١٩٨٦م : ج/١ ، ص/٤٧ .

(١٣) علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن ، تفسير الخازن (المكتبة النعمانية - لاهور) سنة الطبع : لم تذكر : ج/١ ، ص/١٥ .

(١٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم قتيبة ، تفسير غريب القرآن (دار مكتبة هلال - بيروت) ط/١ - سنة ١٩٦١م : ص/١٥ .

مالك الشئ الذي لا يعقل مضافاً إليه ، فيقال : رب الدين ورب المال ، و لا يجوز استعماله باللام للمخلوق بمعنى المالك لأن اللام للعموم و المخلوق لا يملك جميع المخلوقات فالرب المالك رب كل شئ مالكه (١٥) ، الرب هو الله ﷻ : وهو رب كل شئ أي مالكه وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له وهو رب الأرباب ، ومالك الملوك والأملاك ، ورب كل شئ : مالكه ومستحقه (١٦) .

• أقسام الربوبية :

إن الربوبية لها قسمان لدى بعض العلماء ، وذلك لأن ربوبية الله تعالى للناس تظهر بتربيته إياهم وهذه التربية قسمان :

١- تربية خلقية بما يكون به نموهم ، وكمال إبدانهم ، وقواهم النفسية والعقلية .

٢- تربية شرعية تعليمية وهي ما يوحيه إلى أفراد منهم ليكمل به فطرهم بالعلم والعقل إذا اهتدوا به ، فليس لغير رب الناس أن يشرع للناس عبادة ، ولا أن يحرم عليهم ويحل لهم من عند نفسه بغير أذن منه تعالى (١٧) .

📖 ٣- موقف القرآن الكريم في بيان أهمية التوحيد في ربوبية الله تعالى :

إن القرآن الكريم قد اهتم ببيان ربوبية الله تعالى اهتماماً كبيراً وذلك بكثرة إيراد صفة الله تعالى **"الرب"** ، و وفرة استعمالها في مواضع خاصة مهمة مختلفة اللاتي لم تذكر فيها إلا هذه الصفة المذكورة

(١٥) حسن المصطفوي : المرجع السابق : ص/١٧-١٨ .

(١٦) أبو الفرج جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي : المرجع السابق : ص/٩٩ .

(١٧) السيد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (دار المعرفة - بيروت) ط/٢ : ج/١ ، ص/٥٠ .

فقط ، وهذا ينبئ عن اهتمام القرآن الكريم بهذه الصفة الكريمة ، وذلك لأن ترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على ذلك الحكم معللاً بذلك الوصف (١٨) .

• قصة خلق آدم عليه السلام واستخلافه :

قد ورد في القرآن الكريم صفة الله **"الرب"** وحله في قصة خلق آدم واستخلافه عليه السلام في الأرض حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ * إِنِّيْ خَالِقٌ بَّشَراً مِّنْ طِيْنٍ ﴾ (١٩) ، ﴿ وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ * إِنِّيْ خَالِقٌ بَّشَراً مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُوْنٍ ﴾ (٢٠) ، ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ * إِنِّيْ جَاعِلٌ فِيْ الأَرْضِ خَلِيْفَةً ﴾ (٢١) .

• التعارف مع الله تعالى أولاً بصفة "الرب" :

إن الله سبحانه وتعالى قد عرف الأنبياء عليهم السلام نفسه رباً أولاً حيث قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِيْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (٢٢) ، ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً * قَالَ : هَذَا رَبِّيْ * فَلَمَّا أَفَلَ * قَالَ : لاَ أُحِبُّ الآفِلِيْنَ ﴾ (٢٣) ، ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُوْدِيَ يَا مُوْسَى * إِنِّيْ أَنَا رَبُّكَ * فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ * إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى ﴾ (٢٤) .

• استعمال القرآن صفة **"الرب"** في الإيمان بالله تعالى :

قد استعمل القرآن الكريم صفة "الرب" في الإيمان بالله تعالى ، حيث قال تعالى : ﴿ قَالُوْا : آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ * رَبِّ مُوْسَى

(١٨) فخر الدين الرازي : التفسير الكبير : ط/٣ : ج/١ ، ص/٢٢٧ .

(١٩) سورة ص/٧١ . (٢٠) سورة الحجر/٢٨ . (٢١) سورة البقرة/٣٠ .

(٢٢) سورة العلق/١-٥ . (٢٣) سورة الأنعام/٧٧ . (٢٤) سورة طه/١١-١٢ .

وَهَارُوْنَ ﴾ (٢٥) .

• استعمال صفة "الرب" في التوحيد والشرك :

قد وردت صفة "الرب" في مسألة التوحيد والشرك في القرآن الكريم حيث قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوْا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُوْنِ اللهِ وَالْمَسِيْحَ ابْنَ مَرْيَمَ * وَأُمِرُوْا إِلاَّ لِيَعْبُدُوْا إِلَهاً وَّاحِداً ﴾ (٢٦).

• استعمال القرآن صفة "الرب" في إعلان الإيمان بالله تعالى :

قد وردت في القرآن الكريم صفة "الرب" في إعلان الإيمان بالله تعالى، حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِيْنَ قَالُوْا رَبُّنَا اللهُ * ثُمَّ اسْتَقَامُوْا * تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوْا وَلاَ تَحْزَنُوا ﴾ (٢٧)

وقد فسر فضيلة الشيخ المفتي محمد شفيع قول "ربنا الله" بأصل الإيمان في تفسيره معارف القرآن (٢٨) ، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى : ﴿ الَّذِيْنَ أُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَّقُوْلُوْا رَبُّنَا اللهُ ﴾ (٢٩)

وهذه الآية تفسرها آية سورة الممتحنة : ﴿ يُخْرِجُوْنَ الرَّسُوْلَ * وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوْا بِاللهِ رَبِّكُمْ ﴾ (٣٠) .

• ورود صفة "الرب" في الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى :

قد وردت صفة "الرب" في الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى كما

(٢٥) سورة الأعراف/١٢١-١٢٢ ، سورة الشعراء/٤٧-٤٨ .

(٢٦) سورة التوبة/٣١ .

(٢٧) سورة حم السجدة/٣٠ .

(٢٨) المفتي محمد شفيع : معارف القرآن (إدارة المعارف - كراتشي) طبع جديد ١٩٨٧م : ج/٧ ، ص/٦٥٠ .

(٢٩) سورة الحج/٤٠ .

(٣٠) سورة الممتحنة/١ .

جاء في القرآن الكريم : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِيْ لِلإِيْمَانِ أَنْ آمِنُوْا بِرَبِّكُمْ * فَآمَنَّا ﴾ (٣١) ، ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالرَّسُوْلُ يَدْعُوْكُمْ لِتُؤْمِنُوْا بِرَبِّكُمْ ﴾ (٣٢) .

• ورود صفة "الرب" في الدعوة إلى عبادة الله تعالى :

قد وردت صفة "الرب" في الدعوة إلى عبادة الله تعالى ؛ حيث قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوْا رَبَّكُمُ الَّذِيْ خَلَقَكُمْ * وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ * لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ ﴾ (٣٣) ، ﴿ وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَّاحِدَةً * وَّأَنَا رَبُّكُمْ * فَاعْبُدُوْنِ ﴾ (٣٤) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ارْكَعُوْا وَاسْجُدُوْا وَاعْبُدُوْا رَبَّكُمْ ﴾ (٣٥) .

• ادعاء الكفار الكبار هذه الصفة لأنفسهم واحتجاج الأنبياء الكرام معهم :

قد ذكر القرآن الكريم أن الكفار الكبار كانوا يدعون صفة "الرب" لأنفسهم وكان الأنبياء والرسل عليهم السلام يحاجونهم فيها حيث قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْ حَاجَّ إِبْرَاهِيْمَ فِيْ رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ ﴾ (٣٦)، ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ : أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ (٣٧) .

• سبب إيذاء الأنبياء والمؤمنين لصفة "الرب" من جانب الكفار :

قد ورد في القرآن الكريم أن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

(٣١) سورة آل عمران/١٩٣ .

(٣٢) سورة الحديد/٨ .

(٣٣) سورة البقرة/٢١ .

(٣٤) سورة الأنبياء/٩٢ .

(٣٥) سورة الحج/٧٧ .

(٣٦) سورة البقرة/٢٥٨ .

(٣٧) سورة النازعات/٢١-٢٤ .

وكذلك المؤمنين كانوا يقرون الله سبحانه وتعالى رباً لهم ، وبسبب هذا الإقرار كانوا يعذبون بأيدي الكفار وكذلك كانوا ينفـون مـن ديـارهم وبيوتهم حيث قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آل فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ * أَتَقْتُلُوْنَ رَجُلاً * أَنْ يَّقُوْلَ رَبِّيَ الله ﴾ (٣٨) ، ﴿ الَّذِيْنَ أُخْرِجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَّقُوْلُوْا : رَبُّنَا اللهُ ﴾ (٣٩) ، ﴿ يُخْرِجُوْنَ الرَّسُوْلَ * وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوْا بِاللهِ رَبِّكُمْ ﴾ (٤٠) .

• ورود صفة "الرب" في أخذ العهد والميثاق :

قد استعمل القـرآن الكريـم صفـة **"الـرب"** في أخـذ العهـد والميثاق من جميع بني آدم على إقرار ربوبية الله تعالى واعترافهم له ربـاً في عالم الأرواح حيث قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّـكَ مِـنْ بَنِـيْ آدَمَ مِـنْ ظُهُوْرِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ * أَ لَسْتُ بِرَبِّكُـمْ * قَـالُوْا : بَلَى ! شَهِدْنَا أَنْ تَقُوْلُوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ * إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِيْنَ ﴾ (٤١).

• ورود صفة "الرب" في الدعاء إلى الله تعالى :

استعمل القـرآن الكريـم صفـة الله تعـالى **"الـرب"** في جميـع الأدعية الطلبية إلى الله سبحانه وتعالى في مئات من آياتـه ، منـها قولـه تعالى : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا * وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا * وَتَرْحَمْنَا * لَنَكُوْنَـنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ ﴾ (٤٢) ، ﴿ رَبِّ هَبْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً * إِنَّـكَ سَمِيْعُ الدُّعَاءِ ﴾ (٤٣) . (يتبع)

(٣٨) سورة المؤمن/٢٨ . (٣٩) سورة الحج/٤٠ .
(٤٠) سورة الممتحنة/١ .
(٤١) سورة الأعراف/١٧٢ .
(٤٢) سورة الأعراف/٢٣ .
(٤٣) سورة آل عمران/٣٨ .

القرآن الكريم والعلوم : مقارنة من منظور علم المعرفة

بقلم : الدكتور عبد الرزاق
(أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة آسام - سيلتشار - آسام)

القرآن الكريم كلام الله الخالق ، أوحي إلى خاتم المرسلين محمد ﷺ هُدى ورحمة لكافة البشر ، فهو آيات الله النظرية ، يطالب الإنسـان بواسطتها أن يلاحظ الطبيعة حوله حقّ الملاحظة فـيرى آياتـه العمليـة ويمسّ وجوده إحساساً تجريبياً ، فإن القرآن الكريم يقدم مفـهوم الإيمـان بالله نتيجة طبيعية لهذا الإحساس التجريـبي ، وإنـه لا يطـالب النـاس الإيمان والقبول به بذاتـه عميانـاً ، بـل يتطلـب منـهم أن يتفكـروا في حججه تفكراً عميقاً ويضعوها للتأمل والمناقشة العقليـة : ﴿ وَالَّذِيْـنَ إِذَا ذُكِّرُوْا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ * لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَّعُمْيَانًا ﴾ (الفرقان/٧٣) ، وقد أرسل القرآن الكريم إلى الناس مـن مصـدر غيـبيّ وذلـك يجعلـه حجة على الناس كافة .

أمـا العلـوم (Science) فـهي معرفـة منظمـة للطبيعـة والكـون الفيزيائي المحصول عليـها بواسـطة الملاحظـات والتجـارب ، والمعرفـة العلمية ، فإنما هي تقوم على أساس الافتراضات الـتي نسـتنتجها مـن إدراكنا الحسّي للأشـياء والمـادة حولنـا ، وخلاصـة القـول ، أن العلـوم معرفة تجريبية منظمة تحصل عليها أساسياً بواسـطة الحـواس الخمـس ، والمعرفة تكون علمية (Scientific) إذا كانت قابلة للإثبـات أو الاختبـار أو التزييف بواسطة الطرائق المستخدمة في العلوم ، والمعرفـة العلميـة تتغاير كل التغاير من القـرآن مـن حيـث إنـها دنيويـة ولا علاقـة لهـا بالقداسية ؛ وأما مصدراها فهما ملاحظة الإنسان وعقلـه ، وإن هذيـن

المصدرين يقبلهما القرآن ويهتم بهما كمصدري المعرفة .

🕮 علمية (Scientificity) القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم يتطلب من الإنسان أن يكتسب المعرفة تجريبياً وعقلياً ، فالقرآن علميٌ من حيث إنه يعالج إلى حدّ ما بالأمور التي تهتم بها العلوم ، ولكن يقدّم لنا تصاريح قابلة للإثبات أي تصاريح علمية ، وتصاريح غير قابلة للإثبات أي تصاريح غير علمية على السواء ، إن تصاريح القرآن المتعلقة بالغيب مثل وجود الله وصفاته وملائكته والوحي والجن وما إلى ذلك غير قابلة للإثبات بواسطة الطرائق العلمية .

🕮 القرآن والعلوم - صلاحية مقارنتهما :

إن كلا من القرآن والعلوم يتغاير في طبيعته ويتباين في أغراضه كما ذكرناه ، ولذا لا تصلح المقارنة بينهما ، والقرآن كتاب يدّعي بالعصمة والأبدية للمعارف التي يقدّمها أيما كانت ، وفي نفس الوقت إن المعرفة العلمية لا تدّعي بهذه العصمة والأبدية ، بل إنها خاضعة للتحول المستمر ، وإن تاريخ العلوم يحقّق لنا أن مفاهيمها لا تزال تتحول بطريقة مستمرة ، وتحدث هذه التحولات في بعض الأحيان بمحاولات العباقرة الذين يبذلون جهودهم لأجلها وفي الأحيان الأخرى تحدث هذه التحولات بالتوسع في ميدان الاكتشاف العلمي من أثر حنكة التكنولوجيا الحديثة المتزايدة وتحوّلها السريع (١) .

وبالرغم من كل هذا قد كان من الاتجاهات الحديثة التثبيت بأن القرآن يطابق وينسجم بالعلوم كل المطابقة والانسجام ، وهذا الاتجاه قد نشأ من أثر سيطرة العلوم في الحياة المعاصرة ، فهناك اعتقاد

(١) Maulana Wahiduddin Khan, Religion and Science.

بأن شيئاً يكون صحيحاً إذا طابق وانسجم بالعلوم وإلا يكون غير صحيح ، ومن هذا المنطلق ينبغي للقرآن أن يطابق وينسجم بالعلوم كل المطابقة والانسجام ، وفي حقيقة الأمر ، إن عصمة القرآن وصحتها لا يجدر إثباتهما مقابل مطابقته وانسجامه بالعلوم التي قد تكون عرضة للخطأ أو على الأقلّ خاضعة للتحسينات .

🕮 المعرفة العلمية وحدودها :

إن المعرفة العلمية إنما هي استنتاجات يمكن التوصل إليها في أغلب الأحيان بالإدراك الحسي (Sensory Perception) ، ومن المعلوم أن إدراك الإنسان الحسي محدود ولذا لا يستطيع أن يدرك الحقيقة في شكلها الكامل والنهائي ، فالإنسان يستنتج من ملاحظاته حقيقة الأشياء المادية التي يمكن إدراكها لحواسه ، وبما أن حواسنا الخمس عرضة للخطأ إلى درجة بالغة لا نقدر على أن نهب مرتبة العصمة للاستنتاجات التي نحرزها بواسطتها .

إن القرآن الكريم يعرّف لنا خلقاً راقياً آخر غير الإنسان ، وهو الجنّ الذي خُلق : ﴿ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴾ (الرحمن/١٥) في حين أن الإنسان قد خلق : ﴿ مِنْ طِيْنٍ لاَزِبٍ ﴾ إن القرآن الكريم والأحاديث الشريفة كليهما يصوران الجنّ ككائنة واضحة من الكائنات الحية ، وليس بمجرد قوة أو روح خفية ، فالجانّ هم كائنات مشخّصات يتمتّعون بحرية الإرادة إلى حدّ ما (٢) ، ولكن وجودهم غير قابل لإدراكنا الحسّي ، بل وإنه غير قابل للإثبات أو الاختبار أو التحقيق أو التزييف ، ولذا إن تصاريح القرآن المتعلقة بوجود الجن ليست "علمية - Scientific" ، فنحن باعتبارنا كائنات بشرية ، إنما نستطيع أن نمسّ

(٢) انظر : Yusuf Ali, The Holy Quran: Text, Translation and Commentary, p.372.

الأشياء ذات ثلاثة أبعاد، ومن هنا، نفترض ميزة البعدية الثلاث (Three-dimensionality) شرطاً للوجود، وبكلمة أخرى، البعدية الثلاث تكون افتراضاً للإدراكنا البصري.

القرآن الكريم والمعرفة العلمية - المغايرات بينهما:

إن القرآن الكريم، كما سبق ذكره، يقدم لنا تصاريح قابلة للإثبات وغير قابلة للإثبات على حد سواء، فمن تصاريح القرآن القابلة للإثبات تصريحه المتعلق بنشوء الجنين البشري الذي لا يزال يجتذب اهتمام علماء الأحياء إلى درجة عليا، فالآيات التي تتضمّن هذا التصريح هي كما يلي:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِّنْ طِيْنٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِيْ قَرَارٍ مَّكِيْنٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً * فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً * فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً * فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً * ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ * فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِيْنَ ﴾ (المؤمنون/١٢-١٤).

فإن هذه الآيات تبدو علمية إذ أن معظم الحقائق الواردة فيها قد أثبتتها العلوم مرة بعد أخرى، ولكن الجزء المهمّ من التصريح، "خلقنا" غير قابل للإثبات أو الاختبار بواسطة طرائق العلوم (٣).

وطبقاً للعلوم، إن حياة شخص تنتهي كل الانتهاء حالما يموت، فلا تستطيع العلوم أن تتصور وتدرك الحياة الآخرة، هذا وأنها لا تقدر على أن تقبل الإثبات القرآني بأن الروح تبقى في حين أن الجسد يفنى، فطاقة الروح هذه للبقاء مستقلّة عن الجسد غير قابلة أن تثبتها علمياً.

(٣) M.R.Kirmani, The Quran and its relevance to Scientific Knowledge, Journal of Objective Studies, July 1997.

مفهوم المعرفة في القرآن وفي العلوم:

إن مفهوم المعرفة في العلوم مقتصرة على العلمية (Scientificity) ومنحصرة بالحواس، ولكن مفهوم معرفة القرآن لا يقتصر على العلمية؛ ولا ينحصر مفهوم معقوليته بالحواس، فإن جانب الطبيعة الحسّي، وفقاً للقرآن الكريم يوفّر الآيات التي تحقّق وجود الله والآخرة لذوي الألباب والعقول:

﴿ إِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِيْ تَجْرِيْ فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ * وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً * فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا * وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ * وَتَصْرِيْفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ ﴾ (البقرة/١٦٤).

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيْكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَّطَمَعاً * وَّيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً * فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا * إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ ﴾ (الروم/٢٤).

﴿ وَهُوَ الَّذِيْ أَنْشَأَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ * فَمُسْتَقَرٌّ وَّمُسْتَوْدَعٌ * قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَّفْقَهُوْنَ ﴾ (الأنعام/٩٧).

﴿ إِنَّ فِيْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ * لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ (آل عمران/١٩٠).

وفيما يتعلق بالقرآن الكريم إن ملكتي العقل والإدراك الحسّي لمن لا يقدر الإدراك بالله بواسطة هذه الآيات غير وظيفيتين، بل حيويتهما مفقودة:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيْراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ * لَهُمْ قُلُوْبٌ لاَّ يَفْقَهُوْنَ بِهَا * وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُوْنَ بِهَا * وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُوْنَ بِهَا * أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ * بَلْ هُمْ أَضَلُّ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُوْنَ ﴾ (الأعراف/١٧٩).

وفيما يتعلق بالعلوم ، إن ملكتي العقل والإحساس لشخص ما صحيحان تماماً ما دام يحسٍ بهما العالم الطبيعي ، وإن آية القرآن الكريم التي سبق ذكرها آنفاً غير معقولة من وجهة نظر العلم ، فطبقاً للعلوم ، إن "الوجود" يعتمد كل الاعتماد على الإثبات أو التفنيد التجريبي ، ولكن وجود الله غير قابل للإثبات أو التفنيد التجريبي بطريقة ما ، ورغم ذلك إن تاريخ الأنبياء يحدّث لنا قصص أقوام ضلّوا لأنهم أصروا على ملاحظة الله التجريبية أي رؤيته جهرة للإيمان به ، فإن القرآن الكريم يحدّث لنا عن قوم موسى عليه السلام في الآيات التالية :

﴿ وَ إِذْ قُلْتُمْ : يَا مُوْسَى ! لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ * حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً * فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ * وَأَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ ﴾ (البقرة/٥٥) .

فاشتراط رؤية الله للإيمان به يعتبره القرآن سفاهة بالغة ، أمّا من وجهة نظر العلم ، فإن هذا الاشتراط علميّ وعقلانيّ حتى يجدر قراءتها العلمية كما يلي : "ما لم نمسّ وجود الله بواسطة الطريقة التجريبية ، لا نقدر أن نؤمن به" وقد كان الإحساس البصري الظاهر الإحساس التجريبي الوحيد الذي استطاع قوم موسى عليه السلام أن يتخيّلوا في تلك الأيام تجاه وجود الله .

ومن وجهة نظر القرآن : "إن العلوم غير معقولة ما لم يكن آية لله ولوحدته ، ففيما يتعلق بالقرآن" ، إن الإنسان كائن غير عقلي ما لم يقدر أن يدرك الأمور الموحية كحقيقة ، وفي نفس الوقت ، طبقاً للعلوم ، إنه يصير كائناً غير عقلاني حالما يدخل إلى ميدان الحقائق الموحاة ، وإن القرآن الكريم لا يعتبر الذين لا يؤمنون بالله بل يقتصرون على حقل الحواس ، عقلانيين ، وفي حين أن العلوم ترفض المعقولية لمن يخرجون عن حقل الحواس (٤) .

(٤) نفس المرجع : ص/١٢ .

وإن القرآن الكريم يحدثنا عن مصدري المعرفة : الوحي والإدراك التجريبي ويدعو إلى التعايش اللازم بينهما :

﴿ قُلِ : انْظُرُوْا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ * وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُوْنَ ﴾ (يونس/١٠١) .

﴿ قُلْ : سِيْرُوْا فِي الأَرْضِ * فَانْظُرُوْا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ * ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ * إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ (العنكبوت/٢٠) .

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوْقِنِيْنَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ * أَفَلاَ تُبْصِرُوْنَ ﴾ (الذاريات/٢٠-٢١) .

وأما العلوم ، إذ أنها معرفة الطبيعة والكون الفيزيائي المكتسبة عليها بواسطة المراقبة والاختبار ، المعرفة من وجهة نظرها مقتصرة على إطار الحواس ، فالعلوم لن تقبل الوحي كمصدر للمعرفة ، وبما أن المعرفة العلمية تعتمد على الحواس أساسياً ، إنها معرّضة للخطأ كما أن الحواس الإنسانية معرضة له .

الحواس الإنسانية - حدودها وتعرضها للخطأ :

هذا صحيح أن الإنسان قد منح ملكة الحواس الخمس والعقل ولكن لا يمكن اعتباره مجرداً عن الخطأ ومتحلياً بجميع صفات الكمال والشمول ، فالأهمّ والأكثر موثوقاً عليه من الإدراكات الحسية هو الإدراك البصري ، ولكننا نحن الإنسان لا ينبغي أن نرى بأعيننا بالضرورة كل شئ لها وجود ، والأشياء التي نراها بأعيننا لا ينبغي أن يكون لها وجود بالضرورة ، فمثلاً رؤيتنا نجماً لامعاً على بعد ألف سنة ضوئية (٥) من الأرض ، لا تضمن وجودها الفيزيائي في ذلك الوقت

(٥) السنة الضوئية هي وحدة طول تعادل المسافة التي يجتازها الضوء في عام واحد في خواء أي ٥,٨٧٨,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميلاً

من الزمن .

وقد كان من الاستنتاجات العلمية في سابق الزمان أن البرق والرعد لا يمدثان في نفس الوقت ، بل يحدث البرق أولاً ويتلوه الرعد إذ أننا نرى ضوء البرق أولاً ونسمع صوت الرعد ثانياً ، وما زال هذا استنتاجاً علمياً حتى اكتشف العلم أن الأمواج الصوتية تستغرق زمناً للمرور .

لا يستطيع أحد أن يدّعي أن حواسنا الخمس حواس مستنفدة ، يحتمل أن يمنح ذلك كائن ما ، فإن الطيور القواطع تحسّ طريقها بالضبط والدقة في هجرتها عبر القارات ، ولا تزال العلوم علجزة عن توضيحه توضيحاً مقنعاً (٦) ، وذلك من المؤشرات البينة إلى وجود بعض نوع من القوى الإدراكية الحسية الإضافية التي توجد في الطيور المهاجرة تتجاوز عن القوى الإدراكية الحسية التي تتمتع بها الإنسان .

وتجدر الإشارة هنا إلى قصة العميان الخمسة الذين أدركوا شكل فيل إدراكاً حسياً ، وكل واحد منهم أدركه بحاسة اللمس ، فواحد منهم لمس نابه والثاني أذنه والثالث خرطومه والرابع بدنه والخامس ذيله ، فاستنتاج كل واحد كان يختلف عن آخر اختلافاً تاماً ، فهذه القصة ، مهما كانت حقيقتها ، تساعدنا أن نتخيل إمكانية الأخطاء في الإدراكات الحسية التي يمكن الوصول بها إلى نتائج مختلفة من جراء فقدان حتى واحد من الحواس الخمس .

---

(٦) إن هناك نظريات كثيرة تشرح طريقة حسّ الطيور الطريق في هجرتها ، وأكثر قبولاً منها أن الطيور تمسّ الحقول المغنطيسية التي تحيط الأرض ، إن خطوط القوة المغنطيسية تمتدّ من قطب الأرض الشمالي إلى قطبها الجنوبي ، ويحتمل أن الطيور تتجه أنفسها على أثر هذه الخطوط ، ولكن هذه النظرية لما يثبت بعدُ .

صحة مقارنة تصاريح القرآن بالعلوم :

إذا أقدم أحد إلى مقارنة تصاريح القرآن بالعلوم فلابد له أن يتذكّر حقيقة أن العلوم خاضعة للتغييرات ، واستنتاجاتها لن تكون نهائية بل إنها افتراضات تتغير على مر العصور وليس لها أي خلود ، في حين أن القرآن أبديّ ولن يخضع للتغييرات أبداً ، فاستنتاجات العلوم عن حركة الأجرام الفلكية أو عدم حركتها ما زالت تتغير من زمن إلى زمن ، وفي حين أن تصريح القرآن عن حركة الشمس : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لَمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ لا يزال يبقى بدون أي تبديل ، وإن علوم القرن السابع عشر لا تعد علوماً اليوم ، رغم أن القرآن الذي أنزل في القرن السابع لا يزال قرآناً بدون أي تبديل .

إن الله تعالى قد أنزل القرآن هداية لكافة البشر لأن الإنسان يحتاج إلى هداية سماوية إذ أنه عاجز عن أن يسير الصراط المستقيم مستخدماً ملكاته وحدها ، وإن الإنسان الذي يفقد قوة الإدراك الطبيعي للجهة (٧) لا يرجى منه أن يمتلك بقوة الإدراك الروحي للجهة ، ومن هنا ، إن الهداية السماوية الراشدة تكون ضرورة ماسة للإنسان .

إن القرآن الكريم يعترف بمصادر المعرفة التي تلجأ إليها العلوم ولكن لا يعتبرها مصادر شاملة بدون استثناء ، بل إنه بالإضافة إليها يعترف بمصدر معرفة آخر ، وهو الوحي ، فإن المفهوم القرآني للمعرفة أوسع وأشمل من المفهوم العلمي للمعرفة ، ولذا الاعتماد على الطريقة القرآنية نحو العلوم أقرب إلى العقل من الاعتماد على الطريقة العلمية نحو القرآن .

---

(٧) إن بعض الكائنات أقل من الإنسان شأناً ، مثلاً : الطيور القواطع كما سلف القول ، لا تعدم هذا .

الفقـــه الإسلامي :

زحمة يا دنيا زحمة

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(Email:ashmon59@yahoo.com)

من يريد أن يرى الزحمة على حقيقتها وبكافة صورها وأشكالها ، فليتجه إلى مكة المكرمة في موسم الحج ، وبالأخص في النصف الثاني من العشر الأوائل من شهر ذي الحجة ، حيث يجتمع عدة ملايين من الحجاج في مكة المكرمة استعداداً لتأدية مناسك الحج ، وإلى أن يأتي يوم التروية ، يتردد الزائرون ذهاباً وإياباً على الحرم المكي ، ما بين مصل وطائف ومعتمر ومتعبد أو ذاكر لله أو قارئ للقرآن طوال الأربع والعشرين ساعة ، وتضيق المطاعم والصيدليات وكافة المحلات والتي لا تغلق أبوابها لا بليل أو نهار بالمشترين ، حيث تتوافر فيها جميع أنواع وأصناف السلع ، لذا ترى الناس يتجولون في الشوارع خاصة القريبة من الحرم على مدار ساعات اليوم كاملة .

ومما يشعرك بالزحام أنك تجد الناس في كثير من الأوقات ، يتحركون في ذات البقعة من الشارع ، في جميع الاتجاهات ، في آن واحد ، فيتخبط بعضهم ببعض ، حيث يأتي من أمامك من يسير في اتجاه عكس اتجاه السير الذي تسير فيه مما يعيقك عن التقدم في طريقك ، في الوقت ذاته تجد من يدفعك من الخلف لتمضيا قدماً في نفس اتجاه سيركما ، ويخرج من يمينك ومن شمالك من يريد السير في اتجاه عمودي على اتجاه سيرك وكلاهما يسيران في اتجاهين مضادين لبعضهما البعض ، يدفع كل منهما الآخر لاكتمال سيره ، ولا يمكنك التنحي يميناً أو يساراً فكلاهما مزدحم ويعاني من يسير فيهما ما تعانيه ، والأدهى من ذلك وأمر أن الذي يزاحمك

الطريق بالسير في اتجاه مخالف لاتجاهك أو عمودي على اتجاهك ويريد أن يقطعه عليك ليس فرداً واحداً ممن يحملون أمتعتهم على كتفيهم أو رؤوسهم يمكن تخطيه ، أو ممن تعلق في جلبابه سيدة أو طفل لابد أن يسيرا وراءه ، بل ممن يشدون وراءهم طابوراً طويلاً من زملاء الرحلة ، وقد يكون عدة صفوف متراصة متلاصقة متماسكة متلاحمة معاً تتدفق على هيئة سيل ولكنه بشري ، يتأبط كل فرد منهم ذراع الآخر حيث تتلاحم العضد وتتلاصق السواعد وتتشابك أصابع الأكف جاذباً كل فرد الآخر إليه ، فلو كان معك أب أو أخ أن ابن أو سيدة وقطع هذا السيل البشري الطريق بينكما فقد فقدت أثرهم ، ونفس الموقف يمكن أن تتعرض له أثناء دخولك وخروجك من الحرم المكي حيث يتصادم الخارجون منه بالداخلين إليه .

ومما يعرقل من حركة السير في الشوارع ويزيد من ازدحامها واكتظاظها أيضاً ، هو وجود جموع كبيرة من الحجاج يفترشون الساحات الخارجية للحرم المكي في إقامة شبه دائمة ، واحتلال الباعة الجائلين للطرقات المؤدية إلى الحرم حيث يلتف حولهم المصلون في ذهابهم وإيابهم ما بين مشتر أو متفرج ، ومما يزيد الطين بلة وجود مئات الأشخاص من مختلف الأعمار مبتورة أجزاء من أعضائهم أو مشوهة يخترقون صفوف المصلين للشحاذة ؟ وكذلك وجود عربيات ضخمة توزع وجبات مجانية هدية من خادم الحرمين الشريفين يتصارع عليها المصلون حيث إن لذة الوجبة وقيمتها تعين على المشقة والمعاناة التي يتحملها البعض للحصول عليها ، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الزحمة في بدايتها ونهايتها ، يملؤها الرحمة ، بدليل تلقيك للكمات و وخزات وفي أحيان قليلة صفعات من كل جانب ، بدون قصد من فاعلها ، وتتقبلها بصدر رحب ، كما أنك تجد من يدوس قدميك أو يهرس أصابعك ومن يخلعك نعليك ومن يتعلق

بذراعك ومن يجذبك من ثيابك ، وقد تتعثر في حفرة أو نقبة ولكنك تقابل مثل هذا الأمور بنفس هادئة ، محتسباً الأجر والثواب عند الله ﷻ .

ولتفادي مثل هذا الزحام لماذا لا يتم توحيد اتجاه السير في الشوارع المحيطة بالحرم والقريبة منه قبل وبعد الصلاة ولو بفترة زمنية قصيرة أو تخصص حارة لكل اتجاه للمشاة ؟ ولما لا يمنع الحجاج من اقتطان الساحات الخارجية للجرم وإن كان لابد فلماذا لا تفسح بينهم طرقات للسير فيها مع وجود حواجز تحافظ على سعة هذه الطرقات ؟ وكذلك لما لا يشدد المنع على الباعة الجائلين والمتسولين ، ولماذا لا يتم تنظيم الدخول والخروج من الحرم ، فيمنع الدخول إليه وقت خروج المصلين ويمنع الخروج منه وقت دخولهم ، مع تخصيص بعض الأبواب للخروج فقط أو للدخول فقط ، وقت دخول وخروج المصلين ؟ وبمناسبة ذكر الحرم المكي فلماذا لا يتم تغطية سطحه بمظلات واقية من حرارة الشمس خاصة يوم الجمعة حيث نضطر للذهاب إلى صلاة الجمعة الساعة العاشرة صباحاً ولا نجد مكاناً إلا على سطح الحرم ونظل حوالي ساعتين ونصف الساعة تحت الشمس الحارقة منتظرين إقامة الصلاة ؟

ولماذا لا توزع الوجبات المجانية على الحجاج في مساكنهم وفنادقهم بدلاً من الشوارع ؟ ولماذا لا تشارك جميع الدول الإسلامية كل منها بنسبة عدد حجاجها بضباطها وجنودها تحت قيادة وإمرة القوات السعودية في تنظيم سير وتحرك وتواجد الحجاج وضمان سلامتهم ؟

أما عن تأدية مناسك الحج فهي في غاية اليسر إلا من مشاق الطريق من مكة إلى منى ثم إلى عرفات ومنها إلى المزدلفة ثم العودة إلى منى ومنها إلى مكة ، فهذا الطريق أو بالأحرى هذه الطرق ، تحتاج إلى إعادة تخطيط بما يضمن سلاسة المرور فيه لراكبي السيارات وللمترجلين ، فهي مسافة يمكن للشباب ومن هم من المقيمين بالسعودية ولمن من الله عليهم

بكامل الصحة وتمام العافية من تمضيتها سيراً على الأقدام ، أما الغرباء الذين لا يعرفون طبيعة المنطقة وتضاريسها وحدودها ، والعجائز وكبار السن الذين لا يتحملون حمل أمتعتهم والسير بها تحت أشعة الشمس تمر عليهم هذه الطرق بصعوبة بالغة ، ولا مفر من ارتياد السيارات والتي تستغرق ساعات طويلة لإنجاز هذه المسافة مما يزيد من المشقة والمعاناة ، وإذا كان الأجر على قدر المشقة فأيهما أولى ؟! الاجتهاد والتعب في العبادة والتقرب إلى الله بالصلاة والذكر أم قضاء عدة ساعات في أتوبيس ضيق خانق مزدحم بالركاب تنقطع فيه مكيفات الهواء ؟ وفي معرض حديثنا عن الزحام لا يمكننا أن نغفل عما يحدث بين الحجاج ليتمكن أي منهم للدخول إلى الروضة الشريفة في مسجد رسول الله ﷺ ، وخاصة أن هناك حجاجاً يجلسون فيها ما يقرب من عشرين ساعة وآخرين لا يدخلونها أبداً ، فيرد إلى خاطرنا استفسار عن مدى إمكانية تنظيم الدخول إليها بالتنسيق مع المطوفين أو القائمين على شئون رحلة الحج بحيث يحدد لكل فوج ميعاد معين ومدة معينة للتواجد في الروضة ، ويتم انتظار الأفواج التي عليها الدور إما داخل المسجد النبوي أو خارجه في الساحات المحيطة به .

وأخيراً هل عاد من حجه كما ولدته أمه من ألقى الجمار من فوق جثامين أخوة له في الإسلام سقطوا صرعى تحت قدميه ؟ ومن السبب في سقوط قتلى أثناء رمي الجمار من عام لآخر ؟ هل من عارضوا الفتوى التي تبيح رمي الجمار على مدار اليوم ؟ أو من سمح لكل هذه الأعداد الغفيرة بالحج ، ولو حج ربع هذا العدد أو نصفه على أكثر تقدير لكان الحج أكثر راحةً وأمناً ؟ أو من قصر في واجبه بإلزام الحجاج باتباع تعليمات السلامة ؟ لابد من تحديد المسئول وتقديمه للمحاكمة سواء كان فكراً أو فرداً أو نظاماً ، تفادياً لتكرار مثل هذه الأعوام القادمة ، أعادهم الله علينا وعليكم وعلى الأمة الإسلامية بالنصر والخير والبركة ، آمين يا رب العالمين .

أعلام التاريخ الإسلامي :

البيروني ومنهجه في البحث التاريخي

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور سيد رضوان علي الندوي

كان البيروني بعيداً كل البعد عن التعصب المذهبي، وذكر قصة طريفة في كتابه : الجماهر في معرفة الجواهر، عند الكلام على نوعين من الحجر : الخماهن والكرك، إحداهما أبيض اللون والآخر أسود ؛ فقال : "إن الشيعة كانت تتختم بأبيضها والنواصب بأبيضها مكان العقيدة والمذهب، وكنت أجمع بين هذين الفصين في زوج خاتم كيادا للفريقين معاً" (١٨).

كما قرر الأستاذ المحقق سالم كرنكو الألماني أنه كان من أهل السنة (١٩).

مكانته العلمية ومنهجه في البحث التاريخي :

أطلق العلماء القدماء لقب "الأستاذ الرئيس" على البيروني كما عرفه الأوربيون (Maitre Aliboron) وهي ترجمة لنفس اللقب، ويجمع المختصون في تاريخ العلوم قديماً وحديثاً على نبوغه وعبقريته في عدد من العلوم الفلكية والرياضية والطبيعية والجغرافيا وغيرها، وسبق الكلام أن جورج سارتون مؤرخ العلم الشهير سمى العصر الذي عاش فيه عصر البيروني رغم وجود علماء أفذاذ آخرين في نفس العصر، أما سخاو ناشر كتبه الأول في القرن التاسع عشر فقد

(١٨) الجماهر : ص/٢١٥ .

(١٩) الجماهر، خاتمة الطبع : ص/٣ .

اعتبره أعظم عقلية عرفها التاريخ وظاهرة علمية في الحضارة الإسلامية ولا مجال لرد آرائهم هنا، والقارئ يجد هذه الآراء مبثوثة في الكتب الكثيرة عن تاريخ العلوم في اللغة العربية واللغات الأجنبية، مثل كتب قدري طوقان وكتاب الدوميلي، وعلم الفلك عند المسلمين لنللينو وتاريخ الأدب الجغرافي العربي لكراتشوفكي وتاريخ الرياضيات لكاجوري وغيرها، وجمع الكثير من هذه الآراء الأستاذ علي أحمد الشحات في كتابه الحديث عن حياة البيروني (٢٠)، وهو كتاب قيم فيما يتصل بشرح بعض نظرياته العلمية و وصف مؤلفاته المطبوعة، وألف البيروني في عشرة علوم حسب كلامه في فهرس كتبه، والقليل يعرفون أنه ألف حتى في الشعر العربي مثل كتاب مختار شعر أبي تمام، وفي أدب التسلية من الروايات الشعبية والتاريخية أو ما يسميه هو "ما يجري مجرى الأحماض".

وهكذا كان البيروني غزير الإنتاج متنوعه، وظل يؤلف طوال نصف قرن من ٣٩٠هـ إلى حين وفاته، وشاء حظ التاريخ أن يكون أول كتبه من ناحية التأليف والطبع والترجمة إلى الإنجليزية كتاباً في موضوع تاريخي، أقصد "الآثار الباقية عن القرون الخالية" وهو أحد مؤلفاته الثلاثة الهامة، الآخران : "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" المعروف أيضاً بكتاب الهند أو تاريخ الهند (٢١) ونشر أدورد سخاو الألماني هذين الكتابين وترجمهما إلى اللغة الإنجليزية، الأولى في ١٨٧٨م، والثانية في ١٨٨٧م وترجمهما إلى الإنجليزية بعد

(٢٠) البيروني : حياته ومؤلفاته : ص/٢٢٨-٢٣١ .

(٢١) وأخطأ خير الدين الزركلي في اعتباره كتاباً مستقلاً عن تحقيق ما للهند كما ذكر من كتبه تاريخ الأمم الشرقية وليس له .

نشرهما مباشرة ، وله الفضل في تعريف هذا العبقري وإنتاجه في العلوم الإنسانية إلى العالم في العصر الحديث ، أما الثالث فهو القانون المسعودي ، ألفه البيروني باسم السلطان مسعود بن محمود الغزنوي ، وهو في رأي كارلو نللينو المستشرق المتخصص في علوم الفلك أكبر وأدق موسوعة في علوم الفلك والجغرافية الرياضية ، نشرته دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد (الهند) في ثلاثة مجلدات .

ويربو عدد مؤلفات البيروني من الكتب الكبيرة والرسائل الصغيرة أو الأبحاث العلمية على ١٨٠/ كتاباً ورسالة والفهرس الذي وضعه البيروني نفسه لمؤلفاته وأبحاثه في ٤٢٧هـ يشمل ١٠٣/ كتاباً كما ذكر ثماني كتب أخرى وهو في سبيل إتمامها من مسوداتها (٢٢) وكان من دقته العلمية أنه ذكر عدد أوراق الكثير من هذه الكتب والرسائل ، الأمر الذي يفيد الباحث في تقدير إنتاجه العلمي تقديراً صحيحاً ، فمنها مثلاً كتاب الوساطة بين الخوارزمي وأبي الحسن الأهوازي الفلكي في ٦٠٠/ ورقة أي ١٢٠٠/ صفحة وكتاب جمع الجوامع في شرح السند هند أو الرياضيات الهندية في ٥٠٠/ ورقة ، ورسالة في تقاسيم الأقاليم ٢٠/ ورقة ، وإيضاح الأدلة على كيفية سمت القبلة ٢٥/ ورقة ، وتسطيح الصور وتبطيح الكور في ١٠/ ورقات ، ونشر ما لا يقل عن عشرة كتب أخرى في الموضوعات العلمية وترجم بعضها إلى اللغات الأوربية .

وتنافست الدول المختلفة بعد الحرب العالمية الثانية في تكريم البيروني بإحياء ذكراه بطرق شتى من إصدار مجلدات تذكارية وإقامة الندوات العلمية في الهند وتركيا وروسيا السوفياتية وأفغانستان

(٢٢) انظر هذا الفهرس في مقدمة الآثار الباقية بقلم سخاو .

وباكستان وآخرها المؤتمر العالمي الذي عقد في كراتشي في ١٩٧٣م بمناسبة عيد ميلاده الألفي ، كما أطلقت روسيا السوفياتية اسمه على جامعة حديثة في طاشقند ، ونصب تمثال له في المتحف الجيولوجي بجامعة موسكو ، لأن البيروني ولد ، وعاش فترة طويلة من الزمن في المناطق التي تخضع لروسيا كأزبكستان وتركمانستان أو بلاد ما وراء النهر القديمة .

ومنهج البيروني في البحث التاريخي كمنهجه في البحث العلمي ، وهو عين المنهج الذي يسير عليه البحث العلمي في العصر الحديث ، أي الاحتكام إلى العقل بعد الاستقصاء والاستيعاب والتحليل والنقد والمقارنة ، وأصاب الدكتور علي الشابي التونسي في قوله : "بأنه يبعث التاريخ والمجتمع بطريقة رياضية بحتة لا تقبل الرفض أو التعديل إلا بقدر ما تسمح به الحقائق العلمية" (٢٣) وإذا قارنا منهجه بمنهج الطبري والمسعودي ومسكويه وغيرهم من المؤرخين المعروفين أدركنا أنهم لم يوفقوا إلى المنهج المتكامل لأن ثقافتهم كانت مبنية على العلوم النقلية فقط ، بينما وفق البيروني إلى ذلك لمعرفته الشاملة ويقظته العقلية وحسّه النقدي الدقيق في معالجة كثير من قضايا التاريخ وبيان عللها والربط بينها .

وأوضح البيروني بعض ملامح منهجه في مقدمة الآثار الباقية بقوله : "إن أقرب الأسباب المؤدية إلى ما سئلت عنه هو معرفة أخبار الأمم السالفة وأنباء القرون الماضية لأن أكثرها أحوال عنهم ورسوم باقية من رسومهم ونواميسهم ولا سبيل إلى التوصل إلى ذلك من جهة الاستدلال بالمعقولات والقياس بما يشاهد من المحسوسات سوى

(٢٣) المصدر السابق : ص/٣٢٤ .

التقليد لأهل الكتب والملل وأصحاب الآراء والنحل ، المستعملين لذلك ، وتصيير ما هم فيه أساساً يبنى عليه بعده ، ثم قياس أقاويلهم وآرائهم في إثبات ذلك بعضها ببعض بعد تنزيه النفس عن العوارض المردية لأكثر الخلق ، والأسباب المعمية لصاحبها عن الحق ، وهي كالعادة المألوفة والتعصب والتضافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة وأشباه ذلك" (٢٤) .

وبعد التأكيد على منهجه في البحث التاريخي هذا من وجوب الرجوع إلى المصادر الأصلية والأخذ بالأخبار والآراء بعد المقارنة بموضوعية ونزاهة دون الوقوع تحت وطأة التعصب والافتخار الشخصي أو القومي يؤكد صعوبة هذا المنهج قائلاً : "على أن الأصل الذي أصلته والطريق الذي مهدته ليس بقريب المأخذ بل كأنه من بعده وصعوبته يشبه أن يكون غير موصول إليه لكثرة الأباطيل التي تدخل جمل الأخبار والأحاديث" ولكنه يقرر في نفس الوقت بعقل منطقي علمي عدم رفض الأخبار لمجرد هذا السبب العارض بقوله : "وليست كلها داخلة في حد الامتناع ، فتميز وتهذب ، لكن ما كان منها في حد الإمكان جرى مجرى الخبر الحق إذا لم يشهد ببطلانه شواهد أخر بل قد يشاهد وشوهد من الأحوال الطبيعية ما لو حكي مثلها عن زمان بعيد عهدنا به ثبتنا الحكم على امتناعها" (٢٥) .

ولقد طبق البيروني منهجه هذا بدقة في جميع كتبه التاريخية والعلمية وخاصة في الآثار وكتاب الهند من حيث الرجوع إلى المصادر الأصلية في تواريخ مختلف الشعوب ، والنقد التحليلي والمقارنة ونجد

(٢٤) الآثار الباقية : ص/٤ .

(٢٥) نفس المصدر : ص/٥ .

في كتابه الآثار الباقية ذكر عشرات الكتب من تراث الأمم المختلفة كالمجوس والمانوية واليهود والمسيحيين السريان والأقباط واليونان والعرب وكذلك في كتابه : "تحقيق ما للهند من مقولة" ويمكن استخراج تواريخ هذه الشعوب الاجتماعية من الأعياد والمواسم الموجودة الباقية التي ذكرها البيروني ، وأثبت بعد المقارنات العديلة والاستقصاء ما أمكن جداول السلالات الحاكمة في إيران قبل الإسلام وكذلك الملوك الكلدانيين واليونان والروم والبيزنطيين ، وناقش في أصول بعض السلالات الإسلامية الحاكمة في عهده من بني بويه والزباريين والفاطميين ، وأثبت عدم صحةِ نسبة بني بويه إلى الساسانيين ونسبة الفاطميين إلى آل الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يمنعه الخوف من بطش قابوس بن وشكمير الذي ألف له كتاب الآثار أن ينكر صحة نسبه إلى (أصول السيادة)" (٢٦) .

كما أنه وقف من قضايا التاريخ القديم في الأصول الإسلامية موقفاً جديداً إثباتاً ونفياً ، ومنها مثلاً قضية هوية ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم ، وهو عند معظم المؤرخين والمفسرين كالطبري والمسعودي وأبي حنيفة الدينوري والقرطبي ، والكتاب والجغرافيين كابن خرداذبة وجعفر بن قتيبة والإسكندر المقدوني بينما اعتبره علماء اليمن القدامى كمحمد بن حبيب في كتابه المحبر والهمداني في الأكليل أحد ملوك اليمن وحدوده بمصعب الهمال الحميري ، والبيروني بعد استقصاء هذه الأقوال وغيرها مال إلى القول بأنه أبو كرب شمر يرعش ، واحتج بظاهر اللقب الذي يكثر في ملوك اليمن

(٢٦) انظر : الآثار الباقية : ص/٣٨-٣٩ .

المعروفين بالأذواء (٢٧) .

ورفض كلام ابن خرداذبة بعد مناقشة علمية من النقد الداخلي في كون سد يلجوج وملجوج في منطقة بحر قزوين الغربية .

وبحث في موضوع التاريخ الهجري فقرر بعد المقارنة والنقاش لأقوال مختلفة أن هجرة الرسول الكريم ﷺ كانت في الثامن من ربيع الأول ولا يجوز كونها في الثاني والثاني عشر من هذا الشهر لعدم وقوع يوم الاثنين من الناحية الحسابية إلا في ذلك التاريخ ، وكذلك رفض وقوع عاشوراء عيد اليهود في العاشر من المحرم ، والأخبار المروية في صوم النبي الكريم ﷺ في هذا اليوم لأنه يوم نجاة موسى وبني إسرائيل من الغرق بطريقة رياضية عجيبة مقنعة ، واعتبر الروايات الواردة في هذا الموضوع من عمل محدثي العوام أو مسالة أهل الكتاب (٢٨) .

وهكذا أخضع تواريخ الأحداث لعملية رياضية للتثبت منها ، وما أحوجنا إلى مثل هذا الأسلوب العلمي الرياضي في كثير من قضايا تاريخية .

ومن ناحية أخرى طبق أصول البحث في الطبيعة في بعض قضايا تاريخية أخرى ولم يرفضها لمجرد غرابتها ، ومنها قضية الأعمار الطويلة في الأمم السالفة ، وما ورد منها في القرآن الكريم مثل عمر

(٢٧) نفس المصدر : ص/٤٠-٤١ ، ويعتبره المرحوم مولانا أبو الكلام آزاد في تفسيره للقرآن الكريم باسم ترجمان القرآن الملك الإيراني القديم كوروش أو سائرس ، وكذلك رأى مولانا أبي الأعلى المودودي في تفسيره تفهيم القرآن ببعض التحفظ .

(٢٨) المصدر السابق ذكره : ص/٣٣٠ .

نوح فأثبت صحة عمره الطويل الوارد في القرآن بطريقة علمية بحتة دون الاعتماد على الروايات والتفاسير ، واعتبر أولئك الذين يرفضون مثل هذه القضايا من أغمار الحشوية ونوكي الدهرية ولا يتسع المجال هنا لإيراد مناقشته فليراجع كتابه (الآثار الباقية : ص/٧٨-٨٠) .

كما أنه أدرك أهمية معرفة اللغات الأجنبية في البحث العلمي عامة والبحث التاريخي فتعلم عدداً من اللغات كاليونانية والعبرية والسريانية بجانب اللغة التركية والفارسية والعربية ويذكر أسماء الأحجار الكريمة في هذه اللغات المختلفة في كتابه الجماهر في معرفة الجواهر ، وهو الوحيد من بين علماء العرب والإسلام في عصره وقبل عصره من تعلم اللغة السنسكريتية واللغات الهندية الأخرى لدراسة آداب وتقاليد وعلوم الهند ليقدم لنا دراسة فذة رائعة في الموضوع في كتابه الجليل "تحقيق ما للهند من مقولة" ، ويترجم العديد من كتب السنسكرتية ، ويعيد ترجمة كتاب سدهاتنا أو السند هند .

وهو في كتابه هذا لم يكن مجرد ناقل كما قال البعض ، ولا مفتتنا بعلوم الهند بل مؤرخاً عالماً ناقداً بصيراً مستقل التفكير ، وهو القائل بمناسبة ذكر آراء علماء الهند في الأرصاد في كتابه تحديد نهايات الأماكن "ويجب أن أعير هذا الكلام بجميع وجوهه ، فإني لا آبى قبول الحق من أي معدن وجدته" (٢٩) .

وانتقد منهج علماء الهنود قائلاً : "ومن طالع أعمالهم وجدها من البعد عن التحقيق بحيث لا يثق في أرصادهم بإدعاء تدقيق ، ولكن القوم بسبب نزوح ديارهم وشدة كتمانهم ، وضنهم على الشئ النزر يراحون رائحته ، واعتقاد العامة فيهم الحكمة مع خلوهم عنها ،

(٢٩) تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات الأماكن : ص/٨٣ .

وسهولة تلك الأعمال بالقياس إلى المحققة ، قد كثر متعصبوهم الذين لا يلتفتون إلى عيان ولا يكترثون ببرهان ، ومنهم محمد بن علي المكي على ما ذكر في المدخل إلى أحكام النجوم" (٣٠) .

وفضل البيروني منهج علماء اليونان في البحث العلمي على منهج الهنود في آخر كتاب الهند ، وذكر أيضاً سبب تأليف كتابه ذا قائلاً : "فقليل منهم من يشتغل بالتحقيق اشتغال الطبيعيين من اليونانيين ، بالبحث عنها وعن مائية الآثار العلوية ، وإنهم لا يخلون بكلام القوام بملتهم ، ونستغفر الله في الحكايات إلا عن حق ، ونستوثق للاعتصام بما يرضيه ، ونسترشده إلى الوقوف على الباطل لنتقيه" (٣١).

وأختم كلامي بنصيحة هذا العالم العبقري والمؤرخ الحق ، وجهها إلى الفلكيين ولكنها نبراس لكل باحث يعمل في أي حقل علمي حيث قال : "ويجب أن يتيقظ الراصد ويديم في أعماله ، واتهام نفسه ، ويقلل العجب بها ، ويزيد في الاجتهاد ولا يسأم" (٣٢) .

---

(٣٠) نفس المصدر في نفس المكان .

(٣١) تحقيق ما للهند من مقولة : ص/٥٤٧ .

(٣٢) تحديد نهايات الأماكن : ص/٨٠ .

مراجع البحث :

أ- كتب البيروني :

١- الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق أدورد سخاو .

٢- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة (حيدرآباد - الهند ، سنة ١٩٥٨) .

٣- تحديد نهايات المساكن لتصحيح مسافات المساكن ، تحقيق محمد بن تاويت

الطنجي (أنقرة - سنة ١٩٦٢م) .

٤- الجماهر في معرفة الجواهر ، تحقيق سالم كرتكو (حيدرآباد - الهند) .

٥- التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، طبعة رمزي رايت المصورة مع الترجمة الإنجليزية ، سنة ١٩٣٤م .

ب- الكتب الأخرى :

السخاوي : الضوء اللامع .

ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

ياقوت : إرشاد الأديب طبعة مارجوليوت .

محمد بن حبيب : المحبر (حيدرآباد - الهند) .

حمزة الأصفهاني : تاريخ سني ملوك الأرض (بيروت ، سنة ١٩٦١م) .

الطبري : تاريخ الطبري (طبعة دار المعارف - القاهرة) .

المسعودي : مروج الذهب ، تحقيق محي الدين عبد الحميد .

خير الدين الزركلي : الأعلام : ١٠/أجزاء .

ظلينو : علم الفلك عند المسلمين (روما ، سنة ١٩١١م) .

كراتشوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم .

فرانزروزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح العلي .

قدري طوقان : العلوم عند العرب .

قدري طوقان : تراث العرب العلمي في الفلك والرياضيات .

قدري طوقان : مظلم العقل عند العرب .

بارتولد : الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر .

فيليب حتى : تاريخ العرب المطول .

الشحات علي أحمد ، أبو الريحان البيروني ، حياته ومؤلفاته (القاهرة ١٩٦٨م).

علي الشابي : الأدب الفارسي في العهد الغزنوي (تونس ١٩٦٥م) .

حكمت نجيب هاشم : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب (الموصل ١٩٧٧م) .

الصحافة العربية في المملكة العربية السعودية بين الأمس والحاضر

بقلم : الأستاذ محمود حافظ عبد الرب مرزا
(جامعة جواهر لال نهرو - نيودلهي)

عرف العرب فن الصحافة بعناصره الموضوعية والكتابية المختلفة منذ بداية تاريخهم الأدبي ، أي منذ عصر الجاهلية ، وقد تجلت بذور الصحافة عند العرب في مظاهر شتى من تاريخ الأدب العربي ، لا سيما في طرق الإعلام وتناقل الأخبار ورواية الأشعار وكتابة التراجم والسير و وضع المذكرات واليوميات و وصف الرحلات وأحوال المعيشة ... إلخ ، فعرفه العرب منذ بدء عهدهم ومارسه عدد كبير من نوابغ الكتاب وأعلام المؤلفين وكبار الأدباء .

لقد كانت النهضة الأدبية الحديثة التي عمت أرجاء العالم العربي منذ مطلع القرن التاسع عشر نتيجة اللقاء بين الشرق والغرب ، أثر حملة نابليون على مصر ، وكذلك كان مولد الصحافة العربية وليد اتصال الغربيين ببلاد الشرق العربي ، ولا غرو فإن الفن الصحافي الذي نعرفه اليوم ، إنما نشأ وترعرع في أحضان الحضارة الغربية وكان الغربيون هم الذين اتبدعوه وحسنوه وجاءوا به إلى الشرق ، ولذلك رأينا أول صحيفة عربية تظهر في العالم على الإطلاق هي جريدة **"التنبيه"** التي أصدرها الجنرال بونابرت في مصر عام ١٨٠٠م (١) ، وبعدها ظهرت صحيفة **"الوقائع المصرية"** عام ١٨٨٢م

(١) أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، (المكتبة العامة لجامعة القاهرة) : ص/٧٣ .

على يد الوالي محمد علي الكبير (٢) ، ولكن سرعان ما أخذ العرب يخوضون في ميدان الصحافة العربية بأنفسهم وقد طبعوها بطابعهم الخاص دون أن يقلدوا في ذلك الغربيين ،وكانت الصحافة العربية تحاول تحرير الأمة من السلطة العثمانية وتبذل جهودها في إثارة النفوس وإيقاظ الهمم ، ونتيجة لذلك أهملت الناحية الفنية من الصحافة ، فكانت الصحافة العربية بالطبع تحمل سيفاً لا قلماً ، وكانت في دور المجاهد لا في دور المصلح وحاربت الصحافة العربية الجهل والفقر والأمية ثم ناضلت لتحرير الأم والأمة وكافحت لإصلاح اللغة والمجتمع .

أما أول عربي أصدر صحيفة عربية فهو رزق الله حسون الحلبي الذي أصدر جريدة **"مرأة الأحوال"** في استنبول عام ١٨٥٥م ، وتلاه بعد ثلاث سنوات خليل الخوري اللبنانيّ فأصدر جريدة **"حديقة الأخبار"** عام ١٨٥٨م في بيروت (٣) ، ثم توالت على الأثر الصحف العربية في الصدور في شتى الأقطار العربية ، وكانت هذه الصحف في بداية عهدها ضعيفة الأفكار ركيكة التعابير رديئة الطباعة ، غير أن الصحافة العربية أخذت تتقدم شيئاً فشيئاً ابتداءً من عام ١٨٧٠م وبدأت الأساليب الصحافية تتحسن ، لا سيما وإن الأفكار أخذت ترتقي بانتشار التعليم وشيوع العمران ونشوء حركة الأسفار وميل الناس إلى اكتساب العلوم والمعارف .

وهكذا حدث في المملكة العربية السعودية فإنها أفاقت من

(٢) أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، (المكتبة العامة لجامعة القاهرة) : ص/١٤٢ .

(٣) المصدر السابق : ص/١٤٣ .

سباتها الطويل وسارت مع ركب الدول العربية الأخرى مثل سوريا ولبنان والعراق إلى مصر، وقطفت من ثمارها اليانعة، وقدمت إنتاجات مفيدة نافعة، وقطعت أشواطاً واسعةً بعيدةً ولا تزال، وقد كانت الصحافة قبل توحيد البلاد لا تشمل إلا منطقة الحجاز دون غيرها من البلاد العربية السعودية، لأن المناطق الأخرى كنجد وعسير وحائل والأحساء كان يسودها الجهل وتسيطر عليها الأمية (٤)، وقد برزت في ذلك العهد في الحجاز خمس صحف هي: جريدة **"حجاز"** الناطقة باسم السلطة التركية والتي صدرت عام ١٩٠٨م علماً بأنها هي الجريدة الوحيدة التي امتد أجلها سبع سنوات، وجريدة **"شمس الحقيقة"** بمكة المكرمة وجريدة **"الإصلاح الحجازي"** بجدة و **"الرقيب"** بالمدينة المنورة و **"صفاء الحجاز"** بجدة، إلا أن عمر الصحف الأربع الأخيرة كان يتراوح بين عدة أشهر ويوم واحد، ولم يكن لهذه الصحف قيمة أدبية أو علمية أو سياسية لأن القائمين عليها لم يكونوا مهيأيين فنياً للعمل الصحفي، و وجود نسبة قليلة من القراء، وضعف مادة الجريدة، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى تأخر ظهور الصحافة في المدن والقرى الأخرى في الجزيرة العربية فتعود إلى قلة المثقفين، حيث هبط مستوى العلم والثقافة والفنون الأخرى علماً بأن احتلال المغول لمدينة بغداد سنة ٦٥٦هـ-١٢٥٨م (٥) كان له أثر كبير في تدهور العلوم والثقافة لعدة قرون، وكذلك يعود إلى عدم وجود

(٤) بكري شيخ أمين: الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية (دار صادر بيروت ١٩٧٣م): ص/١٠٦.

(٥) محمد إسماعيل إبراهيم: أحمد موسى البكري: عكاشة الجعلي عدنان قدومي، التاريخ الإسلامي، ط/٧ (الرياض، المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م): ص/١٦٧.

دعم معنوي وقلة الموارد المالية للصحافة حيث تقوم معظم حكومات دول العالم على مختلف مذاهبها بدعم الصحف وتمويلها بمختلف الإعانات والاعفاءات.

وفي عام ١٩١٦م صدرت جريدة **"القبلة"** التي أسسها الملك حسين بن علي إثر إعلان الثورة العربية فكانت الصحيفة الرسمية للمملكة، علماً بأنها قد أصابها حظ كبير من العناية إذ تولى رئاسة تحريرها الشيخ "فؤاد الخطيب" وبعض كبار كتاب الحجاز والعالم العربي، وظلت **"القبلة"** الجريدة الرسمية إلى منتصف سنة ١٩٢٤م، وتوقفت بتغير وجه الحكم في الحجاز، ولقد كانت هذه الجريدة المنبر الحر الذي أذاع منه الأدباء العرب في الحجاز وفي العالم العربي والمهجر أروع إنتاجهم القومي، ضد الأتراك، والفرنسيين، والصهاينة، والإنجليز، والمستعمرين دون أن يخشوا رقيباً يمسخ من قصائدهم شيئاً، أو يحد من حريتهم، ولهذا السبب فإن هذه الجريدة كانت عامل بعث أدبي وفكري في الحجاز والجزيرة العربية عامة.

وأخذت الصحافة تسعى نحو الكمال والمثل الأعلى بعد أن وحد عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود أجزاء البلاد، وبذلك دخلت البلاد مرحلة جديدة يسودها الاستقرار وتوطدت أركان الأمن الذي بدأت تعيشه البلاد بعد سنوات من الحروب، وأفسح ذلك المجال لانتعاش وتطور فترة من نشاطات الناس، ومرت الصحافة السعودية بتجربتين أو بعهدين: **"عهد الصحافة الفردية"** و **"عهد صحافة المؤسسات الأهلية"**، ولم تكن الصحف السابقة ذكرها سوى الإرهاصات الأولى التي مهدت لظهور صحافة أكثر وعياً وأكثر تطوراً في ظل العهد السعودي، فكانت أول صحيفة صدرت في عهد المغفور له جريدة **"أم القرى"** عام ١٩٢٤م بمكة المكرمة، فكانت تعويضاً عن

جريدة "القبلة" التي توقفت ، واتصفت "أم القرى" بأنها جريدة الدولة الرسمية وما تزال على هذه الصفة إلى اليوم ، وهي تعتبر أقدم صحيفة سعودية على الإطلاق ، وسجلها في أحداثها الداخلية وعلاقاتها الخارجية ، والمعين الثر لكل باحث عن الإنتاج الأدبي والفكري عند رجال المملكة العربية السعودية ، وقد اتخذت أم القرى شعاراً لها الآية الكريمة : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (٦) ، وثبت هذا الشعار على صفحتها الأولى ، وأغلب الظن أن اسم الجريدة اشتق من هذه الآية الكريمة (٧) ، وكان اتجاه الصحيفة مركزاً في جانبين :

- أن تكون أداة للتفاهم بين العالمين العربي والإسلامي .
- أن ينصبّ جل اهتمامها على الناس بما يصلح لهم دينهم ودنياهم (٨) .

أما الآن فإن وزارة الإعلام تتولى إصدار هذه الصحيفة حيث تصدر يوم الجمعة كل أسبوع ، وتطبع بالمطبعة الحكومية بمكة المكرمة ، وبعدها تعاقب صدور الصحف والمجلات بالمملكة العربية السعودية ومن أهمها جريدة البلاد ، وجريدة المدينة المنورة ، ومجلة "المنهل" وصحيفة "الشمس والوهج Sun and Flare" باللغة الإنجليزية ، ومجلة "الحج" ، ومجلة "الغرفة التجارية" ، ومجلة "اليمامة" ، ومجلة

(٦) سورة الشورى ، الآية/٧ .

(٧) بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية (دار صادر بيروت ١٩٧٢م) : ص/١١١ .

(٨) وزارة الإعلام ،الشئون الإعلامية ، الصحافة في المملكة العربية السعودية ، الرياض : ص/٩ ، ط/١ ، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

"الرياض" ، ومجلة "قافلة الزيت" ، وجريدة "الندوة" ، ومجلة "الجزيرة" ، ومجلة "الرائد" ، وجريدة "عكاظ" ... إلخ ، وبالطبع فإن تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية لا ينفصل بأي حال من الأحوال عن التطور الحاصل على مختلف الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعمرانية والصحية والرياضية ، بل ما هو إلا ترجمة حقيقية لتطور الحياة في هذه الميادين وانعكاس مضيء لتطور حياة البشر في هذه البقعة الغالية من العالم (٩) ، وقد بدأت المرحلة الثانية من عمر الصحافة في المملكة العربية السعودية عام ١٩٦٤م بعد صدور نظام المؤسسات الصحفية الأهلية الصادر بالمرسوم الملكي رقم/٦٢ وتاريخ ١٣٨٣/٨/٢٤هـ القاضي بالموافقة على نظام المؤسسات الصحفية الأهلية ، الذي كان قد أقره مجلس الوزراء برقم/٦٠٠ وتاريخ ١٣٨٣/٨/٢٠هـ ، وذلك بعد اجتماع ترأسه الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، المغفور له ، وحضور معظم أصحاب الصحف ، حيث أكد رحمه الله حرصه على دعم الصحف وتقويتها وأن صحيفة واحدة تصدر قوية تتضافر على إخراجها جهود الأدباء والصحفيين خير من عشرات الصحف التي تصدر هزيلة وغير مشرفة (١٠) ، واستجابة لذلك المطلب السامي قرر مجلس الوزراء إلغاء امتياز كافة الصحف الموجودة في المملكة العربية السعودية ومنحه شركات أو مؤسسات أهلية خاصة ، لتكون الصحافة رسالة لا حرفة تسمو على المادة

(٩) وزارة الإعلام ،الشئون الإعلامية ، الصحافة في المملكة العربية السعودية ، الرياض : ص/٢ ، ط/١ ، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

(١٠) عثمان حافظ : تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية : ص/٣٨٩ (ط/١، شركة المدينة للطباعة والنشر - جدة) .

وتسعى للتهذيب والإصلاح وتوجيه الرأي العام السعودي توجيهاً مثالياً تمد وجدانه وتخاطب ذهنه وتخدم المجموع ولا تنزلق إلى عبادة الشخصية وخدمة المصالح الفردية اللتين ينبذهما الدين الإسلامي الحنيف (١١)، وكذلك النهوض بمستوى الصحافة إلى المستوى اللائق و المشرف ، وصدر المرسوم الملكي بنظام "المؤسسات الصحفية الأهلية" ، وبناء على هذا المرسوم أنشئت المؤسسات الصحفية نحو مؤسسة عكاظ للصحافة وتصدر عنها جريدة عكاظ اليومية وما إلى ذلك .

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يطرأ على الصحافة السعودية أي تطور ملموس في بداية الأمر حيث ظلت الصحافة السعودية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى عام ١٩٥٠م قليلة جداً تقتصر مهمتها على نشر الأخبار وأعمال الحكومة والإشادة بحكم الأسرة المالكة ، إلى أن أدى انتشار المطابع والتعليم بين أوساط الشعب ، وظهور عدد كبير من المثقفين في المملكة واتساع أسباب التقدم الحضاري في المدن الكبرى إلى الشعور بالحاجة الملحة إلى صحف سعودية راقية ، وبالفعل فإنه وبمرور السنوات فإن الصحف والمجلات السعودية أصبحت تمتاز عن غيرها بميزات فريدة تظهر مستواها العالي وكفاءة مندوبيها وكوادرها لتصبح الصحافة فيها فناً من الفنون الأدبية وأقواها أثراً وأخطرها شأناً وأبعدها مدى .

حيث يقول محمد ناصر بن عباس في كتاب موجز : تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية :

"وإذا كان نصيب البلاد السعودية في الصحافة جاء متأخراً

(١١) بكري شيخ أمين : الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية (دار صادر بيروت ١٤٣٢هـ-١٩٧٢م) .

نظراً للانقسامات التي كانت تسودها قبل عهد المؤسس الباني الملك عبد العزيز رحمه الله ، ونظراً لما كانت تغرق فيه من جهل وتأخر ، وأوضاع ليست قابلة لوجود الصحافة ، فإن نصيب المملكة العربية السعودية في الصحافة جاء متأخراً ، إلا أنها رغم ذلك اضطلعت بنصيبها من أعباء البناء ، وشاركت في أدوار الوحدة ، وساعدت على تكوين وعي متدرج سليم" (١٢) .

وتجدر الإشارة إلى أن الحكومة السعودية بدأت تعطي اهتماماً خاصاً للصحف وتقوم بدعمها مادياً وأدبياً ومعنوياً لاقتناعها بما للصحافة من أثر كبير في الرسالة الإعلامية ونقل الحقائق الموضوعية بالنقد البناء وإحاطة الجمهور بالتعليمات والتوجيهات للعمل بها .

ويتمثل دعم المملكة العربية السعودية للصحف في أشكال متعددة منها :

- الإعانات المالية .
- الإعفاء من الرسوم الجمركية على الورق .
- نقل الصحف إلى المدن والقرى على متن الخطوط الجوية العربية السعودية مجاناً .
- دعم الصحف بالأخبار المحلية والعالمية .
- عدم التدخل في شئون الصحافة إلا في حدود ما تقضي به المصلحة العامة .
- تقديم منح أراض للمؤسسات الصحفية لبناء مقار لها .
- تقديم قروض للمؤسسات الصحفية للمساعدة في تجهيز هذه المقار .

(١٢) محمد ناصر بن عباس : موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية (مطابع وزنكو غراف مؤسسة الجزيرة) : ص٦ .

ونتيجة لهذه الرعاية الكريمة من الدولة نمت الصحافة السعودية وتطورت حتى زاد عدد الصحف التي تصدر بالمملكة العربية السعودية بشكل باهر.

والمؤسسات الصحفية بالمملكة الآن:

📖 ١- مؤسسة مكة للطباعة والإعلام:

تأسست في مارس عام ١٩٦٤م، في مكة المكرمة، وتصدر عنها جريدة "الندوة".

📖 ٢- مؤسسة المدينة للصحافة:

أنشئت في مارس عام ١٩٦٤م، في المدينة المنورة إلا أنه انتقل مقرها الرئيسي فيما بعد إلى مدينة جدة ويصدر عنها جريدة "المدينة المنورة" اليومية بالإضافة إلى عدد من الملاحق الأسبوعية في كافة مناحي المعرفة (التراث، الأربعاء الأسبوعي، المدينة الرياضية، المرأة) إضافة إلى الإصدارات الصحفية الخاصة بالمناسبات.

📖 ٣- مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية:

أنشئت في مدينة الرياض في مايو عام ١٩٦٤م، ويصدر عنها مجلة "الدعوة" الأسبوعية التي تعني بالناحية الفكرية أكثر من اهتمامها بالناحية الخبرية، وينصب جل اهتمامها على نشر الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية دراسة وتعليقاً وخبراً والإشادة بالتاريخ الإسلامي ... إلخ (١٣).

📖 ٤- مؤسسة اليمامة الصحفية:

تأسست في مارس عام ١٩٦٤م، في مدينة الرياض، وكان يصدر عنها جريدة "اليمامة" الأسبوعية التي تحولت إلى مجلة أسبوعية

(١٣) عثمان حافظ: تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية: ص/٤١٩ (ط/١، شركة المدينة للطباعة والنشر - جدة).

منتظمة، ويصدر عنها جريدة "الرياض" اليومية علماً بأن هذه الجريدة تعتبر أول صحيفة في المملكة تنشئ قسماً خاصاً للمرأة، وتصدر عنها كذلك الصحيفة الإنجليزية اليومية "رياض ديلي" "Riyadh Daily".

📖 ٥- مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر:

تأسست في مدينة جدة في يونيو عام ١٩٦٤م، ويصدر عنها جريدة "عكاظ" اليومية المذكورة آنفاً وهي تهتم بقضايا القراء ومشكلاتهم الاجتماعية والإنسانية والأدبية، ويصدر عن هذه الجريدة العديد من الملاحق الأسبوعية مثل السلامة والأمة الإسلامية، عكاظ الاقتصادية ودنيا عكاظ الثقافية ... إلخ، وتصدر مؤسسة عكاظ صحيفة يومية إنجليزية باسم "سعودي جازيت" "Saudi Gazette"، وأصدرت عدداً من المجلات أهمها "كاميرا" وهي مجلة رياضية مرئية، و "النادي" وهي مجلة رياضية أسبوعية، ومجلة "حسن" للأطفال.

📖 ٦- مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر:

تأسست في يونيو عام ١٩٦٤م، في مدينة الرياض، ويصدر عنها جريدة "الجزيرة" اليومية، وجريدة "المسائية" أيضاً.

📖 ٧- مؤسسة البلاد للصحافة والنشر:

تأسست في مارس عام ١٩٦٤م، ويصدر عنها جريدة "البلاد"، وهي أول صحيفة يومية في المملكة، وتصدر المؤسسة مجلة باسم "اقرأ" أيضاً.

📖 ٨- مؤسسة دار اليوم للصحافة والطباعة والنشر:

تأسست في يناير عام ١٩٦٥م، في مدينة الدمام، ويصدر عنها جريدة "اليوم".

📖 ٩- مؤسسة الوطن الصحفية:

تأسست في شهر أغسطس عام ١٩٩٧م، في مدينة أبها، ويصدر

عنها جريدة "الوطن".

✡ **الشركة الشرقية للطباعة والصحافة:**

تأسست عام ١٩٧٨م في مدينة الدمام، ويصدر عن الشركة مجلة "الشرق" الأسبوعية.

✡ **الشركة السعودية للأبحاث والتسويق:**

تمكنت الشركة من الحصول على امتياز أول جريدة يومية باللغة الإنجليزية في المملكة وهي جريدة **"عرب نيوز" "Arab News"** عام ١٩٧٤م ثم أصدرت في العام التالي مجلة اقتصادية متخصصة هي **"Saudi Business and Arab Economic Report"** وعندما لاحظ هشام علي حافظ أن القارئ العربي في حاجة ماسة إلى إصدار جريدة يومية تهتم بأخبار و أحداث العالمين العربي والإسلامي وربطهما بالعالم أجمع، ظهرت فكرة إصدار جريدة **"الشرق الأوسط"** كجريدة العرب الدولية من لندن والتي صدر العدد الأول منها عام ١٩٧٨م (١٤)، كما يصدر عنها مجلة إنجليزية باسم **"Saudi Report"** وفي يناير عام ١٩٨٠م صدر عنها مجلة **"المجلة"** وهي مجلة أسبوعية سياسية إخبارية، وبعد ذلك صدر عنها مجلة "سيدتي" التي تعتبر مجلة الأسرة العربية، ثم أصدرت الشركة مجلة **"المسلمون"** وهي مجلة تهتم بشئون المسلمين وقضاياهم في مختلف أرجاء المعمورة.

وبالطبع فإن هذه المؤسسات الصحفية قد استطاعت حقاً أن تحقق الغاية التي رمت إليها الحكومة السعودية واستطاعت أن ترفع مستواها المادي حيث التزمت بمراعاة القيم الأخلاقية في معالجة جميع القضايا الداخلية والخارجية وتحريم نشر كل ما يخالف العرف

(١٤) وزارة الإعلام، الشئون الإعلامية، الصحافة في المملكة العربية السعودية، الرياض: ص/٤٩، ط/١، عام ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

والتقاليد وكل ما لا تقضي به المصلحة العامة ونشر كل ما يمس قدر مواطن أو شرفه أو كرامته وكل ما يخالف تعاليم الدين الإسلامي الحنيف حيث حاولت هذه الصحف الالتزام بالبنود التي خصتها الحكومة لها وعدم الإساءة إلى المصلحة العامة، والجدير بالذكر أن حرية الصحافة السعودية لم تكن حرية فوضوية بحيث يتاح لمثيري الفتن والمشاكل بأن يكتبوا كل ما يشاءون، ولم تكن حرية مرهقة بالأغلال والقيود حتى يخطر على الكاتب أن يقول كلمة حق ولو في وجه من وجوه الخير، وقد كانت حرية مقيدة بالمصالح العامة وفق مبادئ الأخلاق والبناء، فلا مجال للهدم والتدمير بل كان السعي للصلاح والفلاح والخير والعدل والحق.

والخلاصة أن الصحافة في المملكة العربية السعودية لا تختلف في مستواها عن مستوى معظم البلاد العربية حيث استطاعت الصحافة في المملكة العربية السعودية أن تصل إلى ذروة الكمال بفضل الله ثم بفضل الجهود التي تبذلها الحكومة المالكة ورعايتها لها حيث شهدت رعاية خاصة من قبل خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز طيب الله ثراه، وكذلك بما قام به أبناء البلاد حكومةً وشعباً في تطوير أساليب الصحافة حتى بلغت الصحافة في المملكة العربية السعودية هذا الشأو البعيد من التقدم والانتشار والتأثير في الرأي العام وشدة التأثير في المجتمع العربي والإسلامي والعالمي، وهكذا يقطف المجتمع ثمار توسع انتشار الصحافة، وخاصة مع النمو المطرد الذي شهده قطاع التعليم النظامي وحلقات ومدارس محو الأمية وتعليم الكبار والدورات الليلية، الأمر الذي مكن فئات جديدة من المواطنين من الاطلاع على مجريات أحوال الوطن، وأكسب الصحف الوطنية قراءً جدداً يزيدون معدلات التوزيع، ومن هذا المنطلق فإن الصحافة السعودية تشق سبيلها وتسير في الطريق السوي إلى الأمام، وتشير إلى مستقبل زاهر وضاء، بإذن الله تعالى.

***

من تاريخ الأدب العربي الحديث :

المراحل الأولية لتطور الرواية العربية
(حتى عام ١٩٥٠م)

(حلقة ثانية)

بقلم : الدكتور مجيب الرحمن الندوي
(الأستاذ المشارك ، مركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو - نيودلهي)

ومن جهة أخرى ؛ يبدي طاهر لا شين قدرة أكبر على تصوير المجتمع المصري تصويراً واقعياً إذا ما قيس بزميليه تيمور وعبيد ، وذلك بحكم خلفيته ومهنته ، ولد لا شين في أسرة مصرية صميمة وجاء في اتصال بالطبقة المتوسطة وصغار رجال الأعمال من سكان المدينة بحكم طبيعة عمله كمهندس التنظيم ، وجعل نفسه مألوفاً بهموم واهتمامات الأشخاص العاديين بزياراته المتكررة للمحاكم الشرعية ، إنّ روايته "حواء بلا آدم" (١٩٣٤م) تصور على نحو بارع مأزق الطبقة المتوسطة المثقفة من المجتمع المصري ، تصمم حواء وهي بنت من أسرة فقيرة على تحسين حظها عن طريق التعليم ولكنها تحرم من منحة دراسية تسعى للحصول عليها ، وتحصل على هذه المنحة بنت من أسرة الطبقة الأرستقراطية ، فتقتنع حواء بأن المكانة الاجتماعية والنفوذ أقوى من المؤهلات العلمية والفكرية ، فتقرر أن تؤكد نفسها وتفرض شخصيتها على الآخرين فتصبح ناشطة بارزة وفعالة في الحياة الاجتماعية ، وتقيم سريعاً علاقات ودية مع أعضاء الطبقة الأرستقراطية ، وتقع في حب ابن أحد الباشا رمزي حباً شديداً ، وعلى الرغم من أن رمزي معجب بمواهبها ولكنه لا يفكر قط في الزواج منها ، فتتزوج من فتاة من نفس طبقته الأرستقراطية ، وينهدم آخر أمل حواء في الحياة ، فتقبل على الانتحار وتموت ، وعلى هذا النحو ، تصور رواية لا شين بأمانة ، عدم قدرة فتاة ألمعية معتزة بنفسها

على سد الفجوة بين عالمين متناقضين ، لقد بنى لا شين قصته بنحو بارع ، وتتقدم القصة منطقياً إلى ذروتها ، أما حواء ؛ فهي شخصية ديناميكية مع أفكار ديناميكية وأفكار اجتماعية سامية ، وتصرفاتها تلائم البيئة التي تنشأ فيها ، ورغم كثير من وجوه البراعة الفنية ، لا تنجو الرواية أيضاً من بعض نواحي الضعف ؛ منها تعاطفه المفرط بشخصياته ، وقلة نجاح الكاتب في رسم شخصيات ثانوية (٣٧) على أن عمله يفوق بكثير على أعمال عبيد وتيمور .

وبينما حاول هؤلآء خلق هوية مصرية من خلال أعمالهم القصصية ، فقد اتجه الكتاب الآخرون وهم فحول اللغة والبلاغة العربية ، إلى توظيف الرواية لتحليل الموضوعات النفسية والاجتماعية ، وقد اتسمت كتاباتهم بالذاتية المفرطة إلى حد ، وذلك لتأثر هؤلآء بالثقافات الغربية وآدابها ومحاولتهم إنتاج أدب عربي مثل الأدب الغربي ، ولكن عدم تهيؤ المجتمع المصري والأدب العربي لتقبل هذا الأدب ، خلق فيهم الشعور بالتذمر في جانب والاستعلاء على الآخرين في جانب آخر (٣٨) ، مما منح لكتاباتهم ذاتية خاصة ، ومن هؤلآء طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣م) وعباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦١م) وتوفيق الحكيم (١٨٨٩-١٩٨٧م) وإبراهيم عبد القادر المازني (١٨٩٠-١٩٤٩م) ، وجميع هؤلآء ما عدا المازني قد تربوا ونشأوا في مجتمعات وبيئات ريفية ، حيث عانوا من الفقر والحرمان وشاهدوا التخلف الاجتماعي للحياة الفلاحية ، وتأثر هؤلآء تأثراً كبيراً بالفكر الأوربي

(٣٧) Moosa Matti: Origins of Modern Arabic Fiction, p.178.

(٣٨) عبد المحسن طه بدر : "تطور الرواية العربية الحديثة في مصر" : ص/٣٠٥-٣١٢ .

و ثقافته ، و من ثم كان إدراكهم للحرمان المتأصل في الحياة المصرية قوياً ، الصراع بين المجتمع التقليدي الذي نشأوا في أحضانه وبين المستقبل المشرق الذي حلموا به ، منعكس في كتاباتهم .

تمثل "الأيام" لطه حسين هذه النزعة الجديدة في العالم القصصي ، وهي رواية السيرة الذاتية التي نشرت في جزئين عام ١٩٢٩م ، لقد استخدم الكاتب ضمير الغائب لسرد القصة ، وصور بأسلوب أصيل وأخاذٍ المحن والشدائد التي عاناها في طفولته وكهولته وأيام مدرسته الابتدائية والمآسي التي ألمت بأسرته ، وإن وصفه المفصل والحي للحياة والتحصيل في جامع الأزهر وصف أدق وأكثر واقعية ويعد وثيقة للمجتمع الريفي المصري آنذاك ، ولعلّ نقد طه حسين اللاذع لعيوب وجور المجتمع الذي عاش فيه كان ردّ فعل ضجة أثارها كتابه : "الشعر الجاهلي" ، إنه لم يتمكن من الإجابة على أقوال العلماء بأنه متعرض للمقدسات الإسلامية ، فلجأ إلى السرد القصصي لعرض آرائه الليبرالية ، ويمكن أن تعتبر روايته "أديب" امتداداً للأيام ، وهي شبه سيرة ذاتية ، وبينما قد يوجد الخلاف حول اعتبار هذه الأعمال ضمن "الرواية" ، فما من شك في أن أعماله الأخرى "دعاء الكروان" و "شجرة البؤس" روايات ، ففي "دعاء الكروان" يغتصب مهندس فتاة بدوية ويقتلها عمها دفاعاً عن حرمة الأسرة على عادة القبليين ، ولسوء الحظ ، تصمم أختها على الانتقام من المهندس دفاعاً عن كرامة الأسرة ولكنها في غضون هذه العملية تقع في حبه وتتزوجه ، ورغم أن الرواية تتسم بالعاطفية ، ولكنها تتمتع بقالب متماسك رائع وتتميز بوحدة الموضوع وعمق في رسم الشخصيات ، أما روايته الثانية "شجرة البؤس" التي ينبغي أن تعتبر رواية "الأجيال" ، فهي تبرز الصراع بين عادة تعدد الزواج الشائعة

وبين الاتجاه المتغير للمجتمع المصري الحديث ، وقصة الرواية أن شاباً يتزوج من بنت قبيحة المنظر ولم يكن قد رآها قبل الزواج طبقاً للتقاليد الاجتماعية الرائجة ، لا يرتضي هذا الشخص بزوجته ويتزوج من امرأة أخرى ، ولكن يجلب لنفسه الشقاء المالي إلى حد الإفلاس ، وبدلاً من أن يبحث عن حلول منطقية لمشاكله ، يلوم قدره ، و عندما يموت ، تتأسف أرملتاه على سوء حظهما ، و لا تعترفان بأن بؤسهما و شقاءهما نتيجة لسفاهة زوجهما و استغلال المؤسسات الإسلامية (٣٩) .

وبين عام ١٩٣١م و ١٩٤٤م قد أنتج إبراهيم عبد القادر المازني عديداً من الروايات التي حاول فيها تطبيق التحليل الاجتماعي على الحب والعلاقات الزواجية وحرص على إبراز أن المكانة غير المحررة للمرأة العربية والمسلمة - كما تصور في الأعمال القصصية - لا تستلزم أن تقدم على غرار المبادئ التي تحكم الروايات الغربية ، ولكن إبراهيم قام بتبسيط مفرط للقضايا الخلقية والاجتماعية في روايته "إبراهيم الكاتب" (١٩٣١م) ، وتترأى المرأة المسلمة في الرواية غير مؤثرة ، وتعالج الرواية إمكانية الحب مع نساءٍ عديدات في وقت واحدٍ ، والمشاكل المعقدة التي تنشأ من هذا الوضع ، فمن حيث القالب ، تحتوي الرواية على ثلاث صور متميزة و وصف لعلاقاته الغرامية مع ثلاث نساء ، إن وعي المازني بالرواية - نظرياً - أقوى بالنسبة لطه حسين وهيكل ولكن هذا الوعي لا يتمثل في التطبيق ، كما يقول الدكتور عبد المحسن طه بدر ، ثم إن ظروفه الخاصة - قلق المازني و حرمانه و علاقته بالمرأة - جعلت منه كاتباً ذاتياً و أثرت في

(٣٩) Moosa Matti: Origins of Modern Arabic Literature, p.177.

أدبه ، وحساسية المازني الحادة أضعفت تمثله للثقافة وجعلت أدبه مرتبطاً بتجاربه الذاتية ، إن علاقة المازني ببطل الرواية ، ساهمت في ضعف تصوره الفني ، فتبدو الرواية ثلاث لوحات منفصلة (٤٠) ، على الرغم من بعض العيوب الفنية لهذه الرواية ، فإن المازني نجح في أن يقدم للقارئ - على نحو مقنع - مفكراً ومثقفاً مصرياً عميق الثقافة لأول مرة في تاريخ الرواية العربية (٤١) ، وفي هذا المجال يتفوق المازني على كل زملائه طه حسين و العقاد و الحكيم حيث لم يقدموا لنا أية شخصية تماثل أو تقارب هذه الشخصية الكبيرة شخصية إبراهيم في الرواية (٤٢) ، ومن المزايا الأخرى للرواية هي لغة الرواية الرشيقة و وصفها الجميل البارع ، وهي بهذه المزايا ، تمثل خطوة متقدمة تجاه رواية عربية مصقولة ومتطورة أكثر (٤٣) .

وبينما سعى طه حسين والمازني إلى خلق رواية محلية من خلال السيرة الذاتية والتحليل الاجتماعي ، حاول توفيق الحكيم - وهو مصري أيضاً - إبداع روايات أكثر نضجاً واكتمالاً من حيث الفن ، ولعل سر نبوغها الفني هو اطلاعه الواسع على الثقافة الفرنسية ، فبعد أربع سنوات التي قضاها في باريس عكف خلالها على دراسة النماذج الغربية في الفن والأدب ، رجع إلى مصر وبدأ يصور

(٤٠) عبد المحسن طه بدر : "تطور الرواية العربية الحديثة في مصر" : ص/٣٣٨-٣٤٥ .

(٤١) حمدي السكوت : "الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي" : المجلد الأول : ص/٤٥ .

(٤٢) نفس المصدر : ص/٤٥ .

(٤٣) Moosa Matti: Origins of Modern Arabic Literature, p.178.

الطموحات المصرية الوطنية والصراع الوطني الذي أدى إلى ثورة ١٩١٩م من خلال روايته "عودة الروح" التي ظهرت في جزئين عام ١٩٣٣م .

ويتجلى في "عودة الروح" تمكن الحكيم من آليات القص الناضج الذي يتدفق في سلاسة وعفوية ، ويدفع القارئ منذ الصفحات الأولى إلى قلب الأحداث ، كما ينجح الحكيم في استخدام الحوار استخداماً مسرحياً يقدم به الشخصيات ، بصفاتها النفسية والجسمية وبأوضاعها ومكانتها في عيون بعضها البعض ، فضلاً عن تطوير الحدث والكشف عن مشاعر ومواقف كل منها (٤٤) .

تصور "عودة الروح" أفراح وأحزان أسرة مصرية من الطبقة المتوسطة ، طالب شاب وثلاثة أعمامه وعمته العانس تسكن في القاهرة ، الانسجام العميق الذي تتميز به حياة الأسرة ليس غير معتاد ، ولكن حياتها الاجتماعية رائعة رغم أنها تبدو في بعض الأحيان مبالغاً فيه ومتكلفاً ، جميع هؤلاء يشاطرون نفس الظروف والمشاعر ونفس العواقب الوخيمة ، رجال الأسرة يقعون في حب فتاة مجاورة ولكنها ترفضهم جميعاً ، فيشتركون معاً في ثورة ١٩١٩م ويعانون معاً من المرض والسجن ، يقود الحكيم قراءه إلى الاعتقاد بأن مطمحه الأساسي هو تصوير حياة أسرة مصرية عادية وصفاً دقيقاً .

لقد اختار الحكيم الأسرة رمزاً لتاريخ مصر وشعبها منذ عصر الفراعنة ، وفي اعتقاد الكاتب أن تاريخ مصر منذ عصور الفراعنة مستمر إلى العصر الحاضر ، وأن الفلاحين سلائل أسلافهم الأمجاد ،

(٤٤) M.M.Badawi: A short history of Modern Arabic Literature, p.120.

وحياتهم البسيطة والمقهورة تكتم روحهم الديناميكية ومجدهم وتصميمهم الموروثين ، ومثل أسلافهم فإنهم سيأتون بالمعجزات وإن مصر التي ظلت في سبات عميق طوال هذه العصور ، تنتظر لأن توقظ بابنها (سعد زغلول ، الزعيم الوطني الكبير) الذي كان فلاحاً كذلك .

رواية عودة الروح كأعمال طه حسين والمازني سيرة ذاتية إلى حد كبير ولكن عناصرها القصصية متحابكة جيداً مع قالبها الحقائقي بحيث يجعلها مثالاً رائعاً لتخيل خصب وذوق رفيع ، وشخصياتها جادة ومتفاهمة وغير مغرضة وحساسة بوجودها ومثلها وصلبة وعنيدة في وجه المحنة (٤٥) ؛ كما أن قدرة المؤلف على التقاط مكامن السخرية في المواقف المختلفة وإحالتها إلى مصدر للإمتاع والمرح والحيوية ، تضيف إلى القيمة الفنية للرواية .

وبهذه الإيجابيات الكثيرة تقف "عودة الروح" علامة بارزة في تاريخ تطور الرواية العربية معلنة أن الوليد الذي برز إلى الحياة مع ظهور زينب في عام ١٩١٣م ، قد شب عن الطوق وأصبح محل تقدير خارج الوطن العربي في عام ١٩٣٣م (٤٦) ، ويعلن يحيى حقي انتهاء فجر القصة المصرية بظهور الحكيم مع قصته (٤٧) .

ولم يكتب الحكيم بعد "عودة الروح" سوى روايات ثلاث تستحق التنويه ؛ وهي : "يوميات نائب في الأرياف" (١٩٣٧م) ،

(٤٥) Moosa Matti: Origins of Modern Arabic Literature, p.177.

(٤٦) حمدي السكوت : "الرواية العربية ببلوغرافيا ومدخل نقدي" : المجلد الأول ، ص٤٩ .

(٤٧) يحيى حقي : "فجر القصة المصرية" : ص١١٧ .

و "الرباط المقدس" ، و "عصفور من الشرق" وتوقف الحكيم بعدها عن كتابة الرواية حتى وفاته عام ١٩٨٧م .

تنحرف رواية "سارة" (١٩٣٨م) لعباس محمود العقاد انحرافاً شديداً من التحليل الاجتماعي الذي يتسم به الأدب القصصي المصري آنذاك ، ليس العقاد مهتماً بالمبادئ السياسية والخلقية لشخصياته بل بعلاقاتها العاطفية وردود فعلها للعلاقات الجسدية والشهوانية ، وبطلته امرأة جميلة وشهوانية ومتحررة ومحكومة بغرائزها بدلاً من عقلها وتملك عطاء الأنوثة الأكبر ، ولكنها تتمثل كتجريد كامل حيث إن اسمها غير مذكور حتى ستين صفحة من الرواية ، ملخصاً ، هي نفس الحواء الخالدة التي عرفت عبر العصور والأجيال : الحب والكذب والكيد من أجل الانتصار على الرجال ، وموضوع الرواية هو العلاقة المجددة بين سارة وهمام ، وكانا عاشقين في شبابهما ولكن هذه العلاقة يهيمن عليها الشك ، فكانت النتيجة أن الأشخاص ينقصها حرية العمل ، فتبقى "سارة" لوحات من رسوم مفككة لا تتطور إلى رواية متماسكة معقولة ومقبولة ظاهراً ، ففي حين أن أكبر ميزتها هي تحليل طبيعة المرأة والصراع بين عقلها وغريزتها النسوية ، فإن تصوير الكاتب المفرط لسارة كامرأة رخيصة شهوانية قد شوّه صورتها كامرأة ذكية وشاطرة ومتحمسة قادرة على تبادل الحب .

(يتبع)

***

صور و أوضاع :

جمهوريات ولكن بدون الحقوق الديمقراطية

بقلم : واضح رشيد الحسني الندوي

كانت الديمقراطية الأوربية تعبيراً عن الحريات الفردية ، وكان معنى الجمهورية حكم الشعب، وفي مثل هذا النظام يتمتع الجمهور أو الأغلبية من أفراد الشعب بعد انتخابهم في انتخابات شعبية حرة ، بحق تعيين مسار الدولة ، ورسم السياسة ، وللأقليات فيها دور ملموس ، تصان فيه رغباتها ، وتحمى حقوقها ، ولهذا التوازن بين الأغلبية والأقلية ، وتمثيل الشعب في تخطيط سياسة البلاد واحترام رغباته ، نال هذا النظام القبول في العالم ، واختارت معظم الدول الحرة في العالم وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية هذا النظام السياسي سوى الدول التي فرض عليها النظام الاشتراكي الذي لا يتمتع فيه الشعب بحرية سياسية ، بل تقرر الدولة مسار الحياة .

كانت أمريكا أكثر هذه الدول ممارسة للحقوق الديمقراطية ، فكانت تعتبر نموذجاً للنظام الديمقراطي ، ولوقاية الحكام من الضلوع إلى حكم فردي ، اختير نظام متعدد الجوانب لكيلا يحتكر فرد من الأفراد السلطة في البلاد ، ولا تبقى إمكانية لسيطرة جانب على جوانب أخرى .

وبفضل هذا النظام كان رئيس الدولة لا يملك سلطات مطلقة ، بل كان يتقيد في سائر إجراءاته بالبرلمان ، رغم كون النظام رئاسياً ، وبجانب وجود مجلسين للبرلمان ، هناك محاكم حرة ومؤسسات تراقب على سير النظام ، و وكالات استخباراتية مستقلة متعددة ، بالإضافة إلى وجود مقر منظمة الأمم المتحدة في البلاد ، و وجود أقوى أنشطة

الإعلام التي تعبر القارات ، وتراقب الأحداث والانعكاسات لها ، مراقبة دقيقة ، وتنقل الدقيق والجليل من الأمور ، ومحللون سياسيون من أصحاب خبرة ومعرفة دقيقة ، يملكون تجربة وحكمة وحرية لإبداء الرأي .

وقد احتفظت أمريكا بهذه الطبيعة للسياسة ، وكان مصير الرئيس الأمريكي الأسبق "نكسن" مثالاً لوجود ميكانيكية لمحاسبة الرئيس ، ولكن رغم سائر هذه الموانع في طريق الاستبداد أو الانفراد بالحكم والتصرف ، أو اتخاذ إجراء طائش ، تتخذ الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس "جورج بوش" إجراءات تعسفية أشبه بإجراءات الحاكم المطلق المستبد بأمره ، ولم تكن هذه التصرفات الاستبدادية حادثة أو مفاجأة ، بل إنها أصبحت جزءاً من السياسة المستمرة ، فقد خالف الرئيس "بوش" الأمم المتحدة ، والرأي العام الدولي ، ولجنة التفتيش عن وجود أسلحة دمار في العراق ، ونفذ مخططاته التي أدت إلى تدمير العراق ، ولا تزال هذه الدولة المنكوبة بالحرب مسرحاً لسفك الدماء، ونهب الأموال ، وتشريد السكان ، و واجه الرئيس انتقادات لاذعة في داخل بلاده وخارجها ، كذلك واجه انتقادات من البرلمان الأوربي ومحاكم أمريكا على السجون السرية وتعذيب السجناء ، و واجه مطالبة مؤسسات العدل والحقوق الإنسانية بالانسحاب ، وقد فشلت الإدارة الأمريكية فشلاً كاملاً في إقرار السلام و وقف القتال في العراق ، لكنه يتمسك بموقفه العنيد ويتحمل خسائر الأمريكيين أنفسهم والعراقيين ، وتتصاعد هذه الخسائر بمرور الزمن .

وقد طالب عدد من كبار قادة الجيش الأمريكي بالانسحاب ، فلم تقبل الإدارة الأمريكية هذه المطالبة ، وأصرت على البقاء ، ثم طالب الديمقراطيون الذين استولوا على السنت الأمريكي ، فلم يغير

الرئيس الأمريكي موقفه ، والآن اتخذ السنت قراراً بتحديد موعد للانسحاب ، فرفض الرئيس الأمريكي قرار هذا المجلس الأعلى وأبدى رغبته في استخدام حق النقض الذي يملكه الرئيس في مثل هذا الوضع .

واستخدام حق النقض ومعارضة الأغلبية كان من طبيعة السياسة الأمريكية ، فإن أمريكا هي أكثر الدول الكبرى استخداماً لحق النقض في مجلس الأمن ، ويشكل استخدام هذا الحق معارضة رأي الأغلبية من الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة أو في البرلمان .

ولعل هذا النوع من النظام الديمقراطي هو تصور الرئيس الأمريكي أو أيديولوجيته التي يدعو إليها ، فقد قال : إن حرب العراق كانت من أجل إعادة النظام الديمقراطي وأبدى سروره بقيام ما سماه بالنظام الديمقراطي في العراق ، ولكن النظام القائم في العراق هو في الواقع نظام يتكون من رجال لا يتمتعون بالشعبية ، وإنما يمثلون الأقلية ، ولذلك لا يستقر النظام .

ومثل هذا الوضع يوجد في دول أخرى ، تنال تأييد أمريكا ، وهي مصر وتونس وباكستان على سبيل المثال ، ففي سائر هذه البلدان يجري صراع بين رؤساء الجمهوريات والشعب ، ويتخذ رؤساء هذه البلدان إجراءات تعسفية لقمع الحريات ، ومنها الحريات السياسية ، ويمنعون مشاركة أعضاء أحزاب غير الحزب الحاكم في السياسة ، فلذلك تشهد هذه الدول الثلاث أوضاعاً شبه أوضاع الحرب الأهلية .

ومثال ذلك باكستان البلد المجاور للهند التي تجرى فيها انتخابات حرة تتغير فيها الأحزاب الحاكمة وتتمتع سائر الأحزاب السياسية بكل حرية للنقد ، وفيها محاكم حرة ولجنة حرة للانتخابات ،

وتتمتع الأحزاب أو المرشحون بحق تحدى النتائج ، وتلغي النتائج إذا ثبت تدخل الحكومة في عملية الاقتراع أي تدخل ، حتى رئيس الوزراء ، وحدث ذلك حقاً في عهد "إنديرا غاندي" عندما أصدرت المحكمة حكمها بعدم شرعية انتخابها ، ففرضت رئيسة الوزراء حالة الطوارئ في البلاد ، وفرضت الحظر على حرية التعبير لمدة من الزمن ، لكن الشعب الهندي انتصر في الانتخابات العامة ، وهزم سائر زعماء حزب رئيسة الوزراء ، وشكلت حكومة جديدة ، ورفعت حالة الطوارئ واستعيدت الحريات المدنية ، بجوار هذا البلد الديمقراطي يتخذ الرئيس الباكستاني الذي لم ينتخب هو في انتخابات عامة ، إجراءات ضد الذين تم انتخابهم ، وهو حليف أمريكا ، وأمريكا تدعم هذه السياسات القمعية ، وقد سلم مئات من المواطنين إلى أمريكا بتهمة الإرهاب على مطالبتها ، وتتخذ القوات المسلحة إجراءات تعسفية ضد الذين يعارضون سياسة الرئيس العسكري ، وقد أفادت الصحف بأن أكثر من ٤٠٠/شخص مفقودون ، ويتهم أن رجال الأمن اختطفوهم ، وتجري في تلك البلاد مظاهرات حاشدة ضد السياسة الاستبدادية للرئيس ، ويطالب الشعب بأن يتنازل الرئيس مشرف عن الرئاسة ، وقبل أسابيع اتخذ الرئيس إجراءاً فوق العادة ، وهو عزل كبير قضاة المحكمة العليا على إصداره حكماً لا يتفق معه الرئيس .

ومثل هذه الأوضاع المنافية للنظام الديمقراطي تشاهد في جمهورية مصر فقد قام الرئيس المصري بإجراء تعديلات في دستور الانتخابات التي إذا طبقت تقفل الأبواب على الأحزاب الأخرى ، تعارض هذه التعديلات الأحزاب السياسية ، ويرفض الرئيس المطالبة بإجراء الانتخابات تحت لجنة قضائية ، لتكون حرة غير خاضعة لنظام الحكم ، ومن أجل هذه الحركة تجري اعتقالات واسعة ، وقد أفادت

"رسالة الإخوان" أن أمين عام كتلة جماعة "الإخوان المسلمين" في مجلس الشعب المصري الدكتور محمد البلتاجي أرجع سبب تأخر الجماعة في الإعلان عن برنامج الحزب الذي أعلنته قبل أسابيع إلى إلقاء الأجهزة الأمنية القبض على مجموعة من كوادر الإخوان، و وصف التعديلات الدستورية في مجلس الشعب بأنها انقلاب كامل وتحتوي على كل عناصر الفكرة الانقلابية وكشف أن نواب الإخوان قد يضعون شارات سوداء مكتوب عليها لا.لإلغاء قانون الطوارئ، في أثناء التصويت على التعديلات الدستورية في مجلس الشعب، وذلك اعتراضاً منهم على قانون مكافحة الإرهاب الذي سيكون أشد خطراً من قانون الطوارئ.

و أضافت الرسالة قائلة: "تبدأ أحزاب المعارضة والقوى الوطنية المصرية حملة تصعيد سياسي، احتجاجاً على تمرير الحكومة تعديلات على الدستور المصري، ترى المعارضة أنها تدخل البلاد في نفق مظلم، وتلغي الإشراف القضائي على إدارة الانتخابات العامة في الوقت الذي وافق فيه البرلمان الذي تسيطر عليه أغلبية من الحزب الوطني الحاكم بغرفتيه، على هذه التعديلات ويستعد لإقرارها نهائياً".

ولا تختلف الأوضاع في تونس، وتركيا والجزائر، عن هذه الأوضاع الاستبدادية، حيث يستولي الرؤساء أو قادة الجيش على السلطات المطلقة، ولا تتمتع الأحزاب السياسية بحقوق سياسية، يقتضيها النظام الديمقراطي، ولا الشعوب في ذلك البلد بحق فرض إرادتها ورغباتها، كتبت رسالة الإخوان أن محكمة الاستئناف في مدينة قفصة التونسية أصدرت حكماً بتأييد الحكم الصادر عن المحكمة الابتدائية بالمدينة، والخاص بسجن عدد من أفراد حركة النهضة

الإسلامية في تونس والصحفي محمد فوراتي لمدة ١٤/شهراً، بتهمة تقديم إعانات لبعض العائلات الفقيرة، وقد صدر الحكم ضد كل من لطفي داسي ورضا عيسى، ومحسن النويشي، وهم من قيادات ومناضلي وقدماء مسلجين حركة النهضة الإسلامية في تونس بالإضافة إلى الصحفي محمد فوراتي".

وأفادت الرسالة: "أن السلطات التونسية تقوم بحملة قمع كبيرة ضد التيار الإسلامي وكل أوجه الانتماء الإسلامي في المجتمع التونسي، حيث أصدرت السلطات التونسية قراراً بحظر ارتداء الحجاب في الأماكن العامة على الرغم من انتشار ارتداء الحجاب، كما تقوم السلطات التونسية بحملات اعتقال دورية ضد الشباب والفتيات الملتزمات.

وإلى جانب ذلك فقد أعلنت السلطات التونسية في مايو من العام ٢٠٠٦م عن إقرار نظام يفرض قيوداً على ارتياد المساجد، وتقضي الإجراءات الجديدة بتسليم كل مصل بطاقة تمكنه من ارتياد أقرب مسجد من محل مسكنه، أو من مقر عمله، إذا اقتضت الحاجة على أن يودعها المصلي عند أقرب قسم شرطة أو حرس وطني، كما تفرض الإجراءات على أئمة المساجد أن يتأكدوا من أن جميع المصلين في المسجد يحملون البطاقة وطرد كل من لا يحملها".

إن هذه الجمهوريات هي في الواقع أشكال حديثة للحكم الفردي، ولا يختلف الحاكم فيها عن الحاكم في النظم الإقطاعية القديمة، فهي فدرالية في الاسم وفردية في العمل.

وتنال سائر هذه الحكومات التشجيع أو التأييد لما يجري من الولايات المتحدة الأمريكية، فإذا كان الرئيس بوش يسعى حقاً إلى إقرار نظام ديمقراطي فعليه أن يقدم هو نفسه مثالاً للسياسة

الديمقراطية ليكون أسوة لغيره من الحكام ، وأن يضغـط على الـدول الحليفة له لإقرار القيم الديمقراطية ، ولكن موقـف الرئيس لا يبـدي أي أثر للتغير ، أو الاعتبار مـن نتائج سياسته الطائشة ، والمعارضة لرأي الجمهور ، بل يبدو أنه يواصل سياسته ، وهي عدم المبالاة بـالرأي العام الدولي ، ويتضح هذا الموقف العنيد من الإجراءات التي يتخذهـا ضد إيران ، وهو موقـف مماثل لموقفه إزاء العـراق ، وقـد تصاعدت المعارضة لهذه السياسة من مختلف الدوائر السياسية المحليـة والدولية ، ولكنه كما قال أحد المترجمين لـه : "رجـل مستبد برأيـه ، لا يبـالي بما يقوله الآخرون" .

ومن مظاهر مخالفة القيم الديمقراطيـة موقـف أمريكـا والـدول الأوربية المتحالفة معها إزاء حماس ، فقد أحرز مرشحو حماس الفـوز في الانتخابات التي جرت في المنطقة العربية لفلسـطين ، فكـان مـن حـق هذه الحركة أن تشكل حكومة ، ومن حق التصور الديمقراطي أن تنـال هـذه الحركـة اعترافاً ، ودعماً مـن سـائر الجـهات المؤيـدة للنظـام الديمقراطي ، ولكن أمريكا والـدول الأوربيـة الأخـرى تتخـذ موقـف الرفض بفرض ضغوط وقطع المعونات المالية لإجبار هذا النظـام علـى التنازل عن سياسته ومبادئه التي على أساسها فاز في الانتخابات .

إن هنـاك أمثلـة كثيرة لمنافـاة القيـم الديمقراطيـة ، بـل القيـم الحضارية منها فرض الحظر علـى الحجـاب ، فـإن هـذا الحظـر كذلـك يتنافى مع تصور الحرية الفردية .

لقد كانت معارضة القيم الديمقراطية تقع في بعـض الأجـزاء ، وكانت هذه المخالفات تواجه استنكاراً وإدانةً ، ولكن سياسـة أمريكـا الحالية وسعت دائرة هذه المخالفات ومنحتها غطـاء وحمايـة ، بتشـجيع مرتكبي هذه المخالفات والسياسات الاستبدادية .

المكتب الخيرية لمدينة الطائف

بأقلام الشباب :

رواسب الاستعمال الفاحش للمفردات العربية

بقلم : الأستاذ محمد فرمان الندوي

الألفـاظ مـن أي لغـة كـانت لهـا دلالات واضحـة ، وفي غضونـها إيحاءات نحو القيام بعمل أو الاحتراز منه ، فهي ليست مواد خاماً تحتـاج إلى تنقيتها من الشوائب والأخلاط ، بل هي معدات خالصة متوافرة تسـتعمل في البناء والعمران ، أو بمثابة قنابل نووية إذا أصـابت إنسـاناً فـلا تندمـل جروحه بل تزداد فجوتها ويتصاعد معدل سيلان دمـها حتـى يتسـع الخـرق على الراتق ، فالمفردات اللغويـة كسـوة مذهبـة أوشـارة مزركشـة ، تختفـي وراءها الذرات النافعة والفيروسـات المدمّـرة ، كمـا أن كبسـولة السـم تكـون مشكلة الألوان ، مختلفة الأنواع لكن داخلها يكون مشحوناً بالأقراص المهلكة .

واللغة العربية لفظ ومعنى ، فكلّما كان اللفظ في مكانه الصحيح كان مؤداه بالغاً إلى المدى ، لكن إذا وضع في محل غير لائـق بـه سـاء مـراده وانكمش مدلوله ، ويكون ذلك نوعاً من غمـط حقـه ، إذ حسـن الألفـاظ وجمالها يبدو جليـاً مـن التـأليف المنسـق والنظـم المرتـب وحسـن النسـج والتلاؤم وتمام الاتفاق للتالية مـع اللاحقـة ، وإذا أسـئ اسـتعمالها فـيزول رواءها وبهاءها ، ومثال ذلك ما ذُكر في كتاب **"عصر المأمون"** أن أبا نواس قد انصرف من بعض المواخـير سـكران ، فمـرّ بمسـجد قـد حضـرت فيـه الصلاة فدخـل ، فقـام في الصـف الأول ، فقـرأ الإمـام : ﴿ قُـلْ : يَـا أَيُّـهَا الْكَافِرُوْنَ ﴾ فقال أبو نواس من خلفه : لبيك ، فلما قضيت الصلاة لبّبوه ، وقالوا له : يا كافر ! نشهد عليك بالكفر ، ودفعـوه ، فبلـغ خـبره الرشـيد ، وتحقق لديه أنه مـاجن ، فقـال الرشـيد لبعـض القصـر : اقـض بـهذا إلى السندي ، فقل له : أدّبه ثم احبسه إلى أن يسـتتيب فـإن تـاب وإلا قتلنـاه ، فهذا أبو نواس الشاعر قد استعمل كلمة في غير محلها ، فـآل الأمـر إلى أن يعاقب فيسجن ثم يتوعد للقتل خرقاً للقانون ، فـاعلم - يـا تـرى - أن مـا من كلمة تفوهت بها أو نطقت إلا اختُزنت بالتسجيل لدى رقيب عتيـد ،

فتارةً يُجرّك هذا إلى مصيبة طارئة في الدنيا أو يسبب إلى ولوجك في النار لأن النبي الكريم ﷺ قال : **"وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم"** (رواه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح) .

إن قلة الدراسة وعدم البراعة الكاملة في فن تغر صاحبها وتضره وتوقعه في مواقف حرجة ، فهنا رجل رغم قصور باعه يبذل جميع مؤهلاته في التوصل إلى شئ ، ثمّ يستيقن أنه أدرك غوره واكتشف كنهه لكن مثله يكون كولد طائش يلعب بأمواج البحر جالساً على شطّه ، ويتسلى بالحصى والجنادل ، وأوضح مثال له أن صاحب "القاموس المحيط" مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم الفيروزآبادي (٧٣٩-٨٢٧هـ) كان من حيث الأصل والنشأة عجمياً لأنه ولد في شيراز بجمهورية إيران ، وقد شغف بتعلم اللغة العربية والتملؤ من نميرها الفياض منذ صباه ، فنهل من تراثها وعلّ ، وارتشف من معينها حتى تعرب ، فجال في البلدان الإسلامية لملأ جعبته علماً ومعرفةً ، حتى وفق إلى ترتيب معجم باسم : "القاموس المحيط" الذي يحوي ألف مادة ، فصار هذا السفر من أشهر المعاجم وأعرفها ، وقد حُكي في "مجموعة مقالات نذير أحمد" أن شهرته لما استفاضت خطبت إليه امرأة ذات علم ومعرفة فتزوجها وجعل يعيش معها عيشاً هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ، مرةً إنه أمر جاريته في جنح الليل أن تطفئ السراج ، فاستعمل لبيان هذا المفهوم تعبيراً تخالطه العجمة "اقتلي السراج" فانكشفت عجميته أمام زوجها ، فما إن سمعت هذه الجملة إلا اضطربت واضطرت إلى أن تقدم القضية إلى المحكمة ، هذه الحكاية وإن لم نقطع بصحتها لكنها تنم عن أن استعمال التعبير الغير الفصيح أورث هذا الداء ، إن اللفظ الصحيح لبيان هذا المعنى لدى أدباء العرب "أطفأ" وقد استعمله العلامة البوصيري في قصيدته المعروفة ببردة :

لا تذكروا كتب السوالف عنده

طلع الصباح فأطفئ القنديلا

تتوزع أساليب الكلام إلى علمي وأدبي وخطابي ، فكل من هذه الأنواع يختلف من الآخر في المعنى والمبنى ، وقد مرّ تاريخ الأدب بعصور ومراحل ارتسمت فيها إشراقاتها المنوعة ، فكان الأدب يتأرجح بين تجويد

المعاني وتوليد الألفاظ ، تحت رايته حضري وبدوي ، لكن جاء على الأدب زمان انعصرت فيه صلاحيات النابغين وأديلت مؤهلات البارعين على نظرية الفن للفن ، فتكوّن أدب تغلب عليه جانب الصنعة والكلفة ، فكل من كان يُنشئ المنشآت يجمع فيها حزازات صدره بأسلوب صناعي ، فجنت هذه الفكرة جناية تأثرت بها الحياة الإنسانية ، ومن بينها ما سمعت من أساتذتنا في جامعتنا الأمّ **"ندوة العلماء"** أن قاضياً قد أسند إليه القضاء في "قم" بجمهورية إيران ، مرة انبعثت قريحة حاكمها على قرض الشعر ، فقال على سجيته : **"أيها القاضي بقم"** ثم غار في التفكير فلم يجد ما يطابق السطر الأول سوى أنه قال : **"قد عزلناك فقم"** أي ألغينا منصب قضاءك فاذهب على أدراجك واترك هذه الوظيفة وخلّ ولّ ، فالحاكم المذكور قد صاغ هذا الشعر لإشباع غريزته النفسية فأصدر حكم إلغاء سُدَّة القضاء بجدية ، هذا وأمثاله يزخر بها التراث العربي ، قديماً قال الناس : قد جنت المضيرة على الرجال ، وقدمت الأراذل على الأخيار .

أمّا المصطلحات والألفاظ الشرعية التي تناولها المفكرون والكتاب بالشرح المجحف والبيان المتعسف ، واختاروا في تفسيرها سبلاً غير مرضية فهذا أيضاً نوع من الجناية عليها ، لأن مفاهيمها قد تعينت من الشارع وتحدد نطاقها ، وقد قيل : لا مشاحة في الاصطلاح ، وكذلك تأتي في إطارها السرقات الأدبية لأن الكاتب أو الأديب يقرأ نكتة أو طريفة في موضع ثم يُحيل إلى نفسه بدون مهابة أو خجل ، وقد ذكر الدكتور جامر قمحة في كتابه : **"جناية أحمد أمين على الأدب العربي"** أن أبدى الدكتور أحمد أمين رأيه هذا أن شاعر العالم هو ابن الرومي ، ومؤرخ الزمن هو ابن خلدون المصري ، فلو وضعنا هذا على المحك لعرفنا أن هذا ليس من مبتكراته ، بل انتقاه من الآخر ثم خصه بنفسه .

فأمثال هذه الجنايات يكثر وجودها في التراث العربي ، فكما أن الجناية في حقوق الله أمر خطير ، كذلك هذه الجنايات تورث لصاحبها سوء السمعة والنفور وتقزز الناس من بنات فكره ، وتضرّ بزعامته الصناعية المستوردة في الأدب العربي لعل الشاعر الأموي قد قرض هذا الشعر لهذه المناسبة :

زعم الفرزدق أن سيَقتل مِرْبعاً * أبشر بطُول سلامةٍ يا مِربع

آخبار علمية وثقافية :

١- لجنة دار الأيتام التعليمية والخيرية في نيلامبور، بمديرية مالافورم، بولاية كيرالا (الهند)

قلم التحرير

عقدت لجنة دار الأيتام التعليمية والخيرية في بلدة نيلامفور، بمديرية مالافورم، بولاية كيرالا (الهند) حفلتها السنوية في ٢٤-٢٥/من شهر فبراير ٢٠٠٧م، حضرها حشد كبير من أهل البلدة، ومندوبون من المؤسسات التعليمية والجامعات والمدارس الإسلامية، وقد كان لي حظ المشاركة في برامجها التعليمية بإيعاز من سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي؛ رئيس ندوة العلماء العام، وقد كان الأخ الفاضل الأستاذ إيم. إيم. محي الدين الندوي اتصل به مراراً للحضور في هذه المناسبة، وكذلك طلب مني أن أشارك في برامج اللجنة السنوية.

هذه اللجنة رئيسها بي. في. السيد عبد الوهاب عضو البرلمان الهندي، وأمينها العام هو الأستاذ إيم. إيم. محي الدين الندوي (حفظه الله تعالى من كل سوء)، ولها نشاطات كثيرة في مجال التعليم والتربية ورعاية الأيتام، وإدارة المدرسة الإنجليزية والكلية العصرية ومدارس البنات المسلمات وما إلى ذلك، ومن النشاطات الأولية لإدارة اللجنة، نشر عقيدة التوحيد، بجميع مدلولاتها ومفاهيمها بين الخاصة والعامة والشباب و النساء والتربية الإسلامية ورعاية الأيتام، وتنشئتهم على تعاليم الإسلام، واكتشاف مواهبهم وتنميتها على الخلال الإسلامية حتى يكونوا أعضاء نافعين في المجتمع، كما أنها تهتم كثيراً بتحسين وضعهم الصحي والنفسي وصيانتهم من التيارات الفكرية الهدامة.

وقد سنحت لي فرصة الحضور في البرنامج الرئيسي وإلقاء كلمة باللغة العربية في ساحة كلية البنات، وزيارة المدرسة الإسلامية ودار الأيتام،

و "مدرسة أمل" العصرية: وكلية الأمل للدراسات العليا، وكلية جوهر الدعوية للإصلاح، وغيرها من الحلقات والمراكز التدريبية، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم.

إنني أشكر القائمين على هذه اللجنة الإسلامية العتيدة لهذه الزيارة، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مجهوداتهم في المجالات المذكورة أعلاه، ويوفق الجميع إلى تقديرها والتعاون مع أهلها على البر والتقوى، والله ولي التوفيق.

٢- مؤتمر أكاديمية الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في باتكل

عقدت أكاديمية الشيخ السيد سماحة العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي مؤتمراً إسلامياً دعت إليه المسئولين عن المدارس الإسلامية والكليات العصرية للبحث عن سبل التعاون بين الشباب الدارسين فيهما، وتوجيههم إلى تعاليم الإسلام وما لها من تأثير عميق في بناء مجتمع إسلامي أفضل.

وقد رأس المؤتمر سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي؛ رئيس ندوة العلماء، وألقى كلمة الرئاسة حول توفير التربية الدينية للأطفال والشباب، وإنشاء جو اجتماعي صالح، على أسس التعليم والتربية الإسلامية التي تفتح الأبواب للدخول إلى ساحة الإسلام الذي لا يفرق بين الإنسان والإنسان، ولا يقر بالتمييز العرقي والعنصري، ولفت الأنظار إلى ضرورة وضع برامج تعليمية ومنهج تربوي دعوي مقنع لكل من يريد أن يدخل في عداد الأمة التي تملك أهدافاً سامية للحياة، ونظرة ثابتة نحو الكون والإنسان.

وقدم الأستاذ الفاضل الشيخ محمد إلياس؛ الأمين العام لهذه الأكاديمية تقريراً عن أهدافها وعن الإنجازات التي حققتها إلى الآن، وهي متقدمة في طريق النجاح بخطي حثيثة، كما أن سعادة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي؛ معتمد التعليم لندوة العلماء، رأس الجلسة

الأولى الخاصة بالبحوث والنقاش ، نوقشت فيها الآراء حول برامج التسلية والثقافة التي تتراوح في الكليات والمدارس والجامعات العصرية وغيرها ، وكان النقاش موضوعياً .

٣- رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية

عقدت رابطة الأدب الإسلامي العالمية لشبه القارة الهندية والبلدان المجاورة التي يرأسها سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، دورتها الرابعة والعشرين في مدينة مُمبائ ، حول : دراسة أدبية لكتابات وخطب سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، وذلك في الفترة ما بين ١٢-١٣/صفر ١٤٢٨هـ ، المصادف ٣-٤/من شهر مارس ٢٠٠٧م ، وقد عقدت هذه الندوة العلمية برئاسة وإشراف سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي .

شارك فيها عدد محترم من أساتذة الجامعات والمدارس الإسلامية ورؤساء القسم العربي فيها ، وكان عدد البحوث والمقالات التي ألقيت في جلسات الندوة أكثر من ٤٠/بحثاً .

أما الجلسة الأولى الافتتاحية فقد قام بإدارتها سعادة الأستاذ الدكتور محمد اجتباء الندوي الذي أشار إلى أهداف الرابطة والغرض الأساسي الذي أنشئت من أجله ، كما قدم فضيلة الشيخ محمد إلياس الندوي ؛ الأمين العام لأكاديمية الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في مدينة "باتكل" ؛ كلمة ترحيب بالمندوبين القادمين من داخل المدينة وخارجها ، ثم قدم تقرير الأمين العام المساعد للرابطة في شبه القارة الهندية سعادة الشيخ الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، قرأه على الحاضرين فضيلة الأستاذ نذر الحفيظ الندوي ؛ عميد كلية اللغة العربية وآدابها في جامعة ندوة العلماء .

وتفضل سعادة الرئيس الجليل بكلمته الضافية التي تضمنت

الإشادة بشخصية سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) لإثبات إسلامية الأدب وكونه أبرز عنصر في بناء شخصية المسلم المتكامل .

وقد كانت البحوث والمقالات التي ألقيت في الندوة تدور حول الموضوع بجوانبه المختلفة ، واستمرت الندوة إلى يومين كاملين ، وانتهت بحفلة عامة تختص بإصلاح المجتمع ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

٤- حفلة في مدرسة مفتاح العلوم ببلدة "بيوندي"

وبعد الانتهاء من برامج الرابطة توجه سعادة رئيس الرابطة الموقر إلى بلدة "بيوندي" التي تبعد عن مدينة مُمبائ نحو ثمانين كيلومتراً في اليوم التالي ٥/من شهر مارس ٢٠٠٧م ، وذلك على دعوة من الشيخ المقرئ محمد أيوب الأعظمي ؛ مدير مدرسة مفتاح العلوم ، ومن المسئولين عن المنبر الإسلامي للثقافة والاجتماع ، الذي أنشأه جماعة من الشباب المسلم منهم : الأخ محمد أسامة رئيساً ، والأخ الأستاذ إقبال حسن سكرتيراً ، والدكتور غياث الدين السكرتير الأول ، الأستاذ ناظم إسماعيل مؤمن أمين الصندوق.

وقد عقدت حفلة في جامع مفتاح العلوم حيث استقبل مدير المدرسة فضيلة الشيخ محمد أيوب الأعظمي سعادةَ الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس ندوة العلماء ، والوفد المرافق معه ، سعادة الأستاذ الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ؛ معتمد التعليم لندوة العلماء ، والأستاذ محمد أنيس جشتي ؛ عضو رابطة الأدب الإسلامي ، وكاتب السطور سعيد الأعظمي ؛ مدير دار العلوم لندوة العلماء ، والأخ الأستاذ عبد الله علاء الدين الندوي .

وبعد ذلك تكرم سعادة رئيس ندوة العلماء ، ورئيس الحفل ، بإلقاء كلمته القيمة أمام الحفل الحاضرين ، ولفت أنظارهم إلى أهمية التعليم والتربية في المراكز التعليمية بوجه خاص ، وتحدث عما كان يخامره من سرور بزيارته الأولى لمدينة "بيوندي" ومدرستها والأساتذة والعلماء و

وجهاء البلد ، فقد كان يسمع بهذه المدينة وما فيها خير و وعي إسلامي ديني ، شاهده اليوم وقرت عيونه بذلك ، وبعد نهاية البرامج نزل الوفد في منزل الشيخ مختار أحمد ؛ أحد التجار الكبار حيث تناول الغداء .

وعاد إلى مدينة مُمبائ بانطباعات سارة جميلة عصراً ، وشكر القائمين على هذا البرنامج ودعا لهم بالتوفيق والبركة والإخلاص في العمل .

٥- القسم العربي بجامعة عليكراه الإسلامية يعقد ندوة أدبية قومية

عقد القسم العربي بجامعة عليكراه الإسلامية ندوة أدبية قومية حول موضوع **"تطور الرواية العربية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية"** في الفترة ما بين ١٣-١٥/من شهر مارس ٢٠٠٧م ، حضرها مندوبون من الجامعات والكليات والمدارس والمراكز العلمية من جميع أنحاء الهند وقدموا مقالات وبحوثاً عن جوانب مختلفة متفرعة من المحور الأساسي .

وقد عقدت الجلسة الافتتاحية برئاسة كاتب السطور ، وقد ألقى فيها سعادة الشيخ محمد عميد الزمان الكيرانوي ضيف الندوة الخصوصي ، كلمة الافتتاح حول الموضوع الأساسي ، وكانت بمثابة البحث الموضوعي للندوة أعجب به الحفل الكريم ، وأشادوا بمحتوياته وأثنوا على الاحتواء الذي شمله البحث .

وكان قد حضر هذا العاجز على دعوة مخلصة تلقاها من سعادة الأستاذ الدكتور كفيل أحمد القاسمي ؛ رئيس القسم العربي مسبقاً ، ومنظم الندوة ، وهو الذي ألقى كلمة ترحيب بالمندوبين والضيوف الكرام كما أن سعادة الأستاذ الدكتور صلاح الدين العمري ؛ رئيس القسم العربي حالياً أعلن عن افتتاح الندوة ، وكان من بين ضيوف الجلسة الافتتاحية سعادة الأستاذ الدكتور مقتدى حسن الأزهري ، والأستاذة السيدة مارية بلقيس ، والأستاذة السيدة تسنيم كوثر قريشي .

وكانت الكلمة الختامية في هذه الجلسة لهذا العاجز كاتب هذه

السطور ، وانتهت الجلسة بكلمة شكر للضيوف الكرام ، ألقاها الأستاذ الدكتور فيضان أحمد ، ثم استمرت جلسات البحوث والمقالات إلى مدة ثلاثة أيام .

٦- مركز الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية في مظفرفور ، بمديرية أعظم كراه

عقد مركز الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية التابع للجامعة الإسلامية في "مظفرفور" بمديرية أعظم كره ؛ ندوة علمية بعنوان : **"الهند وعلم الحديث في الفترة ما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري"** برئاسة وإشراف سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس ندوة العلماء ، وذلك على دعوة من مؤسس الجامعة الإسلامية ومركز الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية ، سعادة الشيخ الجليل والمحدث الكبير الدكتور تقي الدين الندوي ؛ أستاذ الحديث بجامعة الإمارات العربية المتحدة سابقاً ، والقائم بأعمال التحقيق والتعليق لكتب الحديث والسنة ، وقد تم طبع كتب عديدة بتحقيقه ، نالت القبول والإعجاب في الأوساط العلمية والتحقيقية ، وكمثال فقط : **"التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد"** في ثلاثة مجلدات ضخمة ، و **"أوجز المسالك على موطأ الإمام مالك"** في ثمانية عشر مجلداً ، و **"بذل المجهود في حل سنن أبي داؤد"** في أربعة عشر مجلداً .

عقدت الندوة العلمية في ٢١/من شهر مارس ٢٠٠٧م ، واستمرت يومين حضرها عدد وجيه من المندوبين ممن كانوا يمثلون جامعات إسلامية وعصرية ومدارس ومراكز علمية في الهند وخارجها ، رأس الجلسة الافتتاحية سعادة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي ؛ رئيس ندوة العلماء ، وزينها سعادة الأستاذ الشيخ السيد محمد واضح رشيد

الحسني الندوي ؛ معتمد التعليم لندوة العلماء ، وقد شرف الندوة فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد محمد حسن الخزرجي من أبوظبي ، رحب به سعادة الأستاذ الدكتور ولي الدين الندوي بكلمة ترحيبية كان لها أثر طيب في نفوس المستمعين الكرام ، وقد رد عليها الشيخ أحمد الخزرجي بكلمة غالية ذات تأثير طيب ، و وعد بأيّ خدمة ممكنة منه لهذا المركز العلمي .

وفي الأخير تفضل رئيس الجلسة سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي بكلمة مستفيضة حول الموضوع الذي عُين للندوة ، وتحدث بتفصيل عن المنجزات العلمية في مجال السنة التي أنجزت في الهند خلال الفترة التي بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري .

وقد أربى عدد المقالات والبحوث التي أُلقيت في الندوة على ستين بحثاً ، كما قد عقدت الحفلة العامة بالليل ، برئاسة سعادة الأستاذ المحدث الدكتور تقي الدين الندوي ألقيت فيها محاضرات ومواعظ من خلال كبار العلماء والمحاضرين ، وفي مقدمتهم سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، فقد تحدث عما يحتاج إليه المسلمون للحفاظ على دينهم وشريعتهم ومعتقداتهم ، وكان من بين المحاضرين فضيلة الشيخ السيد محمد سلمان الحسيني الندوي ، وفضيلة الشيخ سجاد النعماني ، وفضيلة الشيخ محمد خالد الندوي الغازيفوري ، وفي الأخير تحدث رئيس الحفل فضيلة الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي نجل العلامة الكبير والمحدث الجليل سماحة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله ، وأدار الحفل بغاية من النظام والوقار ، الشاعر الشهير الأستاذ رئيس الشاكري الندوي ، الذي أثار دوافع الحب والجمال بقصيدته المدحية لصاحب الرسالة الأخيرة خاتم النبيين محمد ﷺ .

وانتهت الجلسة بدعاء من فضيلة الشيخ محمد طلحة الكاندهلوي في الهزيع الأخير من الليل .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

رسالة أخوية مهمة

حفظه الله تعالى للإسلام

حضرة الأخ القارئ الكريم !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة ، نشكركم على ما تتابعون من قراءة : "البعث الإسلامي" ، وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة ، تصدر من ٥١/عاماً بالاستمرار ، ويبتدئ بهذا المجلد عامها الثاني والخمسون – والحمد لله – .

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ، وبتكلفة باهظة ، وهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي منكم ، وببذل شئ من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك ، باسم : (ALBAAS-EL-ISLAMI) .

بالعنوان التالي :

مكتب : "البعث الإسلامي"
مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – ص.ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ص.ب ٩٣ – مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء – لكناؤ (الهند)